UNIVERSITY OF ILLINOIS
LIBRARY

A.U.B. LIBRARY

291.3
D124LA
c.1

لا جديد تحت الشمس

تأليف

هاشم الأفغاني المدني و محمد علي المزعبي
المدرسين في كلية الشريعة في بيروت

صدر عام
١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م

حقوق الطبع محفوظة لدار الانصاف

الطبعة الاولى

مطبعة الانصاف
بيروت - العرض - تلفون ٢٤٠/٧٦

الاهداء

١ – هناك مستشرقون امثال « لامنس ومرغليوث » مشدودون بعقائدهم وموروثاتهم ، يخفون واقع المعرفة ، اذا انكشفت لهم في غضون دراساتهم لعقائد الآخرين وموروثاتهم يخفونها امانا على انفسهم من غضب الله ، في ظنهم ، والواقع إن في اخفاء الحق كل غضب الله وسخطه ، اذ محال ان يرضى الله – عز وجل – عن الذين يعلنون الجهل باسم العلم ويطمسون نور الحق ، وهم يعلمون .

٢ – وهناك مستشرقون ، امثال (ماسينيون وجولدتسيهر) موظفون للجري خلف عجلة السياسة ، وهؤلاء ليس في استطاعتهم أن ينطلقوا لكشف واقع المعرفة ، ما دامت عجلة السياسة تشرق بهم وتغرب ، حسب اغراضها ونزعاتها ، ومهما حاول هؤلاء اخفاء ذلك ، تحت ستار العلم والمعرفة ، فتقاريرهم ومؤلفاتهم ، تظهر ما اخفوا .

٣ – وهناك مستشرقون امثال (تولستوي وبرناردشو) اوقفوا انفسهم للبحث عن الحقيقة واذاعتها ، وقد اوقفوا للجهاد في سبيل ذلك كل ما يملكون من امكانيات ، هؤلاء هم رجال العلم الذين يستحقون رضوان الله والاكبار والخلود له مادام بين العلماء من يكتب او يؤلف او ينتقد او يحقق .

فالى هؤلاء وحدهم ، نقدم هذا المؤلف المتواضع ، اقتبسناها مما كتبوا وحققوا واذاعوا .

لا جديد تحت الشمس

انسان اليوم هو انسان الامس ، في عقائده ومذاهبه ، في نحله واتجاهاته . فعقيدة الايمان الصحيحة ، التي تعلن ان خالق الوجود واحـــد ، ليس كمثله شيء من مخلوقـاته ، الروحيات او الماديات ، والتي نادى بها رسل الله ، ادريس ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، صلوات الله وسلامه عليهم ، لا تزال بيننا ، وعقيدة الوثنية التي تعلن ان الله روح محض ، يحل في إنسان او حيوان او جماد ، اي يتصف بكل صفات الروح ، والتي دان بها قدماء المصريين والهنود والفرس ... لا تزال موجودة الى اليوم ، وعقيدة منكري وجود الخالق ، وجاحدي البعث ، ودعاة الاباحية كالدهريين والكلبيين والصدوقيين والمزدكيين والمانويين ... لا تزال موجودة إلى اليوم ! وكل الاختـلاف بين اوضاع الامس واليوم ، إن هو الا في الاسماء والمظاهر والطقوس .

وحسب هذا المؤلف قيمة في العلم ، انه يكشف هذه الحقيقة [illegible] جماعات القراء ، ويلمس كل جماعة منهم لمس اليد حقيقة [illegible] ويريها وجودية الماضي ، بتضه وقضيضه في الحاضر ! وحسبه [illegible] انفسهم موآخذين كل الموآخذة — امام الله والحق والضمير — ان لم يتحروا كنه واقع المعرفة في ما [illegible] به وان أفتاهم المفتون ، ولقنهم الملقنون .

ونحن لا ننكر ان بحوث مؤلفنا هذا ، جديدة بالنسبة لما اعتاد القراء ، أن يجدوا في سواه ، وإن كانت صوراحية لأصدق ما كانت عليه الانسانية ، من عقائد سماوية او وثنية منذ ابعد الازمان .

والى القراء نقدم جملة تلكم البحوث :

١ — ان العقيدة السماوية التي اوحاها الله الى رسله ، واحدة لا تغيير فيها ولا تبديل .

٢ — إن الذي اسقط البشرية ، في وثنية عبادة الروح سواء كانت محضة او غير محضة ، هو عدم التفرقة بين الخالق والمخلوق والصانع والصنعة ، بل الظن بأن الروح المحضة ، خالقة وليست مخلوقة .

٣ — شرح تطورات وثنية عبادة الروح وكيف تسربت اوباؤها حتى افسدت بعض العقائد السماوية الصحيحة .

٤ — بيان ان وثنية عبادة الروح ، التي عرفها العالم القديم لا تزال تعيش إلى اليوم ، لدى امم كثيرة

واخيراً ستجد الانسانية — اذا وعت هذه البحوث العلمية المحررة — كل ما نجاهد لاجله من كشف واقع المعرفة ، طلبا للوصول إلى السلام والتسامح والحرية والاخلاص .

المقدمة

الحمد لله الذي خلق عوالم المادة وعوالم الارواح ، وتفرد وحده بعدم المشابهة والمثال لما خلق ، وكان الاول بلا بداية والآخر بلا نهاية ، ولم يهمل هذا الانسان الذي خلقه من المادة والروح ، بل جعل له قواماً يصلح حياتيه ، بما ارسل اليه من رسل ، تدرجوا معه حسب اطواره وتقلباته ، في المعارف والفهم ، والادراك والنظر .

وبعد ؛ فاننا حين تدارسنا معاً ، نشوء الامراض العقلية التي انتابت البشر منذ اليوم الذي انحرفوا فيه الى تأليه الروح واشراكها بالعبادة ، ولم يفطنوا ان الصنعة غير الصانع وان المخلوق غير الخالق ، وان الذي لا اول له ، هو غير الذي له اول ، وجدنا ان سبب الداء شيء واحد وليس سواه ، هو ستوطهم في مرض اعتقاد ان الروح التي خلقها الله هي الله ، ومفهوم ان هذا المرض ، يجر بكل تأكيد الى الباس الخالق العظيم ، جميع الصفات المنسوبة الى الروح من حلول وصعود ونزول وانتقال وتناسخ وتأنس وتجسد واجتماع وافتراق وظهور واختباء . . . اذن فمن السهل على الذين لم يفرقوا بين صفات الخالق وصفات المخلوق ، الاعتقاد بأن الله روح يحل في الانسان او الحيوان ، وينتقل من هذا

الكائن الى ذاك ، ومن هنا عبد كل جماعة الروح ، وجعلوا لها كائنا مادياً او معنوياً تحل فيه متناسبا مع ميولهم وتقاليدهم معتقدين انها هي الله الخالق العظيم ، ومن هنا كثرت الارواح المعبودة والكائنات المعبودة على مدا التاريخ .

هذا الداء العضال ، الفتاك بالعقلية الانسانية ، متغلغل في القدم ، حتى قال المؤرخ اليوناني (هيرودتس) الذي زار هذا العالم منذ اربعة وعشرين قرنا (ان مرض عبادة الروح طرأ على البشرية منذ احدى عشر الف عام) وهذا الداء لا يزال إلى اليوم يفتك في عقول الانسانية ويفـــرق عقائدها ويبعدها عن عبادة الخالق العظيم .

ولو استطاع اولئك العابدون للروح على تباينهم ، ان يفهموا ان الله الذي خلق عوالم الروح وعوالم المادة ، هو سواها بلا ريب ، لشفوا من هذا الداء وتخلصوا من اوبائه من زمن بعيد .

ونحن في هذا المؤلف ، قد وضعنا جهودنا وسهرنا ومطالعاتنا لكشف هذه الحقيقة طلبا لمرضات الله ، ولم نأل جهدا في استقصاء تطورات هذا الداء العضال ، من اعماق التاريخ ، وما كان من رسل الله في تحرير الانسانية من اوبائه واخطاره وقد عرضنا كل ذلك باسلوب قريب التناول ، وليس لنا أسوة سوى رسل الله والعلماء الاحرار ، الذين اوقفوا انفسهم لخدمة العلم والمعرفة ، وطهروها من المصالح الذاتية الخاصة

والتقاليد والوراثات الباطلة ، التي تجعل العقول لا تبالي بواقع المعرفة سواء انكشفت او لم تنكشف .

على ان العقل الانسان ، إذا انفصل عن الايمان بوجود الروح - لأي اعتبار كان - انفصل عن شطر الوجود وأحد جناحيه ، وحينئذ يتخبط في ظلمات المادة . وتصبح كل شرائعه واتجاهاته وافكاره مادية بحتة ، وفي ذلك كل البلاء الذي نشاهد ويلاته اليوم بين الامم ، لذلك خير ما تكسبه الانسانية هو معرفة ان الروح مخلوقة لله ، وان صفاتها غير صفاته تعالى .

ولما كان الاسلام ، هو الذي احتفظ بسر حقيقة الوحي الالهي الخالد ، كما اوحاه الله إلى رسله وانبيائه ، خالياً من الزيادات الفلسفية واللاهوتية ، خالياً من لوثة الاساطير وترهاتها كان هو الذي يشتمل على الحقيقة المادية والروحية ، كما هي في حقيقة العلم وواقع الوجود .

وكما ان جحود الانسان لوجود الروح هو الداء الذي افضى بالجاحدين إلى المادية الصرفة ، من وجودية ودهرية وسواها ، كذلك ايمان الانسان بوجود الروح مع جهله انها مخلوقة مصنوعة وان صفاتها غير صفات الله الخالق العظيم ، هو الذى افضى به الى تأليه كثير من الكائنات بحجة ان روحاً ازلية محضة حلت فيها .

هذا الداء هو الذي جعل بعض الفلاسفة الاوربيين ينكرون وجود الله والروح معا ، لانهم وجدوا انفسهم امام

ركام من الاساطير واخلاط من الترهات حول عقيدة ان الله روح ، ولم يجدوا هادياً يكشف لهم بين ركام هاتيك الظلمات حقائق واقع المعرفة ، في الايمان بالخالق العظيم ، كما اوحاها الله إلى رسله إلا في خاتم الكتب السماوية القرآن المجيد

اجل ، ان معرفة العقل بوجود الروح ، سواء في الانسان او الحيوان او الملائكة او سواهم من المخلوقات ، وبعده عن معالم الوحي النيرة ، جعله يستسيغ الاساطير الزاعمة ان الله روح ازلية قديمة تحل في ما تريد من مخلوقاتها ، اي تتأنس وتتحجر وتتفيل ...

واخيراً ، نلفت انظار قرائنا إلى ان الانحراف الذي طرأ على البشرية واسقطها في وهدة عبادة الروح ، على اختلاف مظاهرها ، لم يكن كما يتوهم الكثير مسقطاً لها في عبادة المادة اي ان الانسان لم يعبد المادة ، بل عبد الروح التي تخيلها حالة فيها .

محمد علي الزعبي هاشم الرفتر دار المدني

الصنعة غير الصانع

اذا دخل احدنا غرفة ورأى (الراديو) على منصة وهو يرسل انغامه المطربة ، ادرك حالاً ان له صانعا صنعه ، الا وهو (ماركوني) كما يدرك بعد بحثه والنظر فيه ، أنه مكون من شيئين لولاهما لما استطاع ان يؤدي وظيفته المقصودة من صنعه هما المادة والقوة المعنوية (الكهرباء) ، ومع ذلك يدرك كل الادراك ، ان (ماركوني) ليس هو المادة ، ولا القوة المعنوية ، وهذه الحقيقة الماثلة في صانع الراديو وصنعته هي عينها الماثلة في الوجود ، لان جميع الوجود هو صنعة لله الخالق العظيم ، والوجود كالراديو تماماً ، مكون من مادة وقوة ، إذن فيمكننا ان نقول بلسان العلم والتجربة إن صانع الوجود ، هو سوى الوجود ، ولبيان هذه الحقيقة وتوضيحها ، ننقل للقراء القصة التالية مع شيء من التصرف .

« ذكروا انه كان في مدينة (دلهي) من ارض الهند ، احد الدعاة المسلمين ، وكانت حرفته الصياغة ، وهو كثير الحب لله ولرسله وللناس جميعاً ، يتخذ من صياغته وسيلة لجمع المال لينفقه في سبيل الدعوة الى الله ، الصانع الاعظم لهذا الوجود بكل ما فيه من مادة وقوة روحية ، وقد بلغه ان حكومة الهند ، اعلنت انها ستقيم معرضاً صناعياً وطنياً كبيراً ؛ في

مدينة (دلهي) تدعو اليه سكان الهند وسواهم . وقد سره هذا الاعلان ، وصمم في نفسه ، ان يتخذ من فنه البارع وسيلة للدعوة الى الله ، وكشف حقيقة الايمان به ، وصلته بمخلوقاته .

من اجل هذه الغاية الشريفة ، اخذ يسهر الليالي الطوال وهو يصوغ عوالم الوجود ، المادية والروحية ، في صورة شجرة فنية رائعة (١) ، وقد عرض فيها الارض والشموس والاقمار والسموات وعوالم الارواح عرضاً فنياً رائعاً جداً فجعلها اغصانا متشابكة ، تحمل كرات شتى ، وارسل بينها مختلف الاشعاعات الكهربائية المغناطيسية وسواها ، لتمثل القوى المعنوية في الوجود ، كما ارسل اشعاعات بيضاء صافية مجنحة ، تمثل الاملاك والجنّة ، واشار الى الشياطين بأشباح سوداء مخيفة وقد اتخذ لشجرته هذه مكاناً بارزاً في صدر المعرض لتلفت الانظار

احتشد الناس صبيحة يوم افتتاح المعرض واجتمعوا متزاحمين حول هذه الشجرة الفنية العجيبة ، وهم ما بين (بوذيين) يعبدون روح بوذا الازلية القديمة ، التي تأنست فيه وتجسدت حسب تعاليمهم ، وما بين براهمة يؤلهون روح

(١) استوحى فكرة الشجرة من مصدرين ، شجرة المقتدر العباسي ، التي كانت لها حركات آلية غريبة ، تخرج طيوراً تغرد وعصافير تزفزق في احد ردهات قصره ، راجع تاريخ بغداد ٣-١٠٨ (شجرة الكون لابن العربي)

برهمة وسيفا وفشنو الذين يقولون عنهم قد حل الله فيهم ، لانهم اعتقدوا ان الله روح ، وما بين مجوس يعبدون النار التي هي جزء من الشمس الحالة فيها قوة روحية ، يزعمون انها هي الخالق العظيم ، وما بين شنتويين يابانيين يعبدون روحاً عامة يعتقدونها حالة في طبيعة اليابان وجبالها واوديتها وانهارها ، وما بين سياميين يعبدون الروح الحالة في الفيل الابيض ، وما بين حلوليين يعتقدون ان الله روح كلية يحل في كل ذرة من ذرات الوجود ، هي التي تسيره ، وما بين ثنويين يرون العالم يدار بيد روحين كبيرتين ، هما يزدان خالق الخير و (أهرمن) خالق الشر وسوى هؤلاء كثير من اهل هاتيك البلاد ، كعبّاد النوافع والمضار والجمال ، كالبقر والافاعي والغزلان .

اما الداعية صانع الشجرة ، فقد فرح فرحاً عظيما ، حين رأى الناس مجتمعين باحتشاد وتزاحم ، حول شجرته الفنية الرائعة ، وهم معجبون كيف استطاع صانعها العبقري ان يمثل فيها كل قوى عوالم الوجود المادية والروحية ، كما استطاع ان يشير الى كل اشياء الوجود التي عبدت ، واعتقد انها هي الله الخالق العظيم

اجل فرح الداعية الصانع حين رآهم معجبين بالشجرة ، وكيف تسنى لصانعها ، ان يجعلها تشتمل عـــلى كل صور الآلهة المعبودة من دون الله ، كالغزلان والابقار والارض والسموات وبقية الاجرام ، والشموس وبوذا وبرهمة وسيفا

وفشنو وتشترى وزرادشت ومترا وفولكان ولاوتسو وكونفوشيوس والباب ... وسواهم من الملوك والقياصرة والاباطرة والفراعنة ومؤسسي الاديان وبعض اتباعهم الذين بولغ بهم حتى الهوا فعبدوا .

نعم فرح لانه رأى المحتشدين معجبين بعبقريته الفنية الخارقة ، التي استطاعت ان تصور عوالم الوجود المادية والروحية هذا التصوير الدقيق ، ويبرزها في هذا الجمال الفني الباهر للعيان

اخذ المحتشدون يلتفتون يميناً وشمالاً ، وهم يتساءلون عن صانع الشجرة ، وقد كان تلاميذه منتشرين بين جمهور المحتشدين ، وكلما رأوا إلحاح الجمهور في طلب رؤية صانع الشجرة ، يصرفونهم عنه ، بالفات انظارهم الى عجائب الشجرة الفنية ، وغرائب صنعتها الظاهرة في كل جزء من اجزائها واخيراً صاح المشاهدون جميعاً : ان هذه الشجرة الفنية هي اعظم ما في المعرض ، فلا بد لنا من معرفة صانعها العظيم الكبير ، واخذوا يهتفون ويرددون الهتاف بصورة متواصلة فقال التلاميذ :

— ماذا تريدون من معرفة الصانع ؟

— ان صانعاً قديراً ، وصائغاً ماهرا ، قد استطاع ان يمثل عوالم الوجود بتسميه المادي والروحي ، في هذه الشجرة يجب ان نعرفه معرفة اكيدة صحيحة ، حتى لا ننسب المجاده واحترامه واكباره الى سواه .

التلاميذ : وماذا يضركم اذا احترمتم غيره واكبرتموه ،

ونسبتم صنعته الى سواه ؟

المحتشدون : يعطى الحق الى غير اهله ، ويقدّر غير الجدير بالتقدير ويجر ذلك الى تقدير الجهل باسم العلم ، وفي هذا إفساد للاوضاع وقلب للحقائق ، بل فيه كل الشر فيجب ان نعرف صانع هذه الشجرة بالذات . وعين اصر الجمهور على ذلك :

اقترب احد تلاميذ الداعية من الشجرة ومد يده مشيراً الى الشمس البادية فيها قائلًا : ان الذي صنع هذه الشجرة هي الروح الثاوية في هذه الشمس ، فظنه المحتشدون مجنوناً واعرضوا عنه ، فتقدم تلميذ آخر قائلًا : لا لا ، انه كاذب لاننا نشاهد عيانا ان الشمس والروح الحالة فيها ، مصنوعتان اصانع الشجرة ، ففرح الجميع وقالوا : هذا تلميذ يفهم الحقائق ويعلم ان الصنعة غير الصانع ، وطلبوا اليه ان يرشدهم الى معرفة الصانع الصحيحة فقال لهم حباً وكرامة ، ثم مشى الى الشجرة ومد يده واشار الى القوة التي تمثل الجاذبية العامة الممزوجة بكل الشجرة ، المتخللة كل ذرة من ذراتها ، وكل عنصر من عناصرها وقال : هذه القوة الروحية ، هي التي صنعت الشجرة بكل ما فيها ، من عوالم سواء كانت من الارواح او من المادة ، فضج الجميع وسخطوا وقالوا : ان هذا التلميذ لا يقل عن زميله جنونا ، وهنا ظهر احد التلاميذ امام الجمهور بوقار ورزانة قائلًا : انه اشار الى الروح العامة التي تتخلل الشجرة . وهذه اوجدها الصانع لتمسك ذرات

الشجرة وعناصرها وعوالمها ولكن الذي صنع الشجرة ، هو (هؤلاء واشار بيده الى التماثيل الثلاثة) — برهمة وسيفا وفشنو — قائلا : ان الروح الكامنة في هؤلاء الثلاثة ، المتحدة المنبثق بعضهـــا من بعض قبل الدهور ، هي التي صنعت الشجرة بكل عوالمها المادية والروحيـة والحية وغير الحية والعاقلة وغير العاقلة ، وهذه التماثيل الثلاثة تشير الى اقانيم ثلاث هي في الحقيقة إله واحد فصرخ الناس وقالوا : مالنا ولهؤلاء المجانين ، واخذوا يتنادون من يعلم شيئاً عن حقيقة صانع الشجرة فليتقدم .

وهنا تقدم جماعة آخرون من التلاميذ ، واشاروا الى النار قائلين ، هي التي صنعت الشجرة ، فقال آخرون كذبوا بل الذي صنعها ، الروح الحالة في هذا الفيل الابيض ، وقال آخرون ، بل الروح الازلية التي حلت في بوذا هذا ، وقال آخرون : كذبتم بل هذه ، واشار الى الروح الحالة في تمثال الباب ، وقال غيرهم : بل هذه الروح الحالة في آغا خان وقال آخرون ، بل هذه الروح الحالة في طبيعة اليابان وجبالها واوديتها كما هو ماثل في الشجرة ...

وهنا اعرض جماهير المشاهدين عنهم ، وطفقوا يضحكون قائلين : هل نحن في (مارستان) اتلاميذ اي مجنون هؤلاء ؟؟ !! ثم قال حكيم من حكماء الجماهير المحتشدين ، ما لكم يا قوم ؛ نسألكم عن صانع الشجرة ، لاعن الاشياء

المكونة منها الشجرة ، فكيف تشيرون الى الصنعة ، وتقولون هي الصانع ، فبرز تلميذ كانه فيلسوف كبير وقال : ان كل جزء من اجزاء الشجرة المادية والمعنوية ، هو الذي صنع الشجرة ، اي ان الشجرة هي التي صنعت نفسها ، وليس لها صانع سواها ، فاخذ المحتشدون يضحكون على عقليات التلاميذ السخيفة ونظراتهم الواهمة ووزنهم الخفيف الخفيف .

وحينئذ ادرك جماعة من الحكماء ان التلاميذ ماقالوا الذي قالوه الا لغاية مقصودة ، وادركوا ان في المسئلة سراً ، اذ التلاميذ ليسوا بمجانين ولا مخبولين ، لذلك قالوا : علمنا يقينا ان الصنعة غير الصانع ، هلموا فاطلبوا صانع الشجرة ليكلم الجماهير ، فذهب التلاميذ جميعاً ، حين رأوا الجد في طلب الصانع ، وما لبثوا ان اقبلوا ، وصانع الشجرة يتقدمهم ، وما كادت الحكماء والجماهير ، تشاهده مقبلاً ، حتى قابلته بعاصفة من التصفيق والهتاف ، فانحنى متقبلاً هتافهم وخطبهم قائلاً :

لقد رأيتم بعيدا كل البعد ان شيئاً من اشياء هذه الشجرة المادية او الروحية ، هو الذي صنعها وقلتم يستحيل ذلك عقلا وعلماً وتجربة ، بيد انكم انتم جميعاً آمنتم بذلك واذعنتم له تقليداً ووراثة وتلقينا وتعليماً .

المحتشدون : لالا ، نحن لم نؤمن به ولم نذعن له ، انما تلاميذك هؤلاء المحيطون بك ، هم الذين اعلنوا ذلك وتنادوا به .

الداعية : إن تلاميذي ارادوا ان يقربوا لكم الحقيقة ، ويكشفوا لكم ما انتم عليه ، من تقاليد ووراثات ، وتربيات وتلقينات ، تنافي واقع العلم والمعرفة ، اما تعلمون ان هذه الارض التي نعيش فيها ، وهذا الفضاء الذي تسبح فيه الاجرام المترامية في ابعاده ، وهذه الارواح والجاذبية والمغناطيسية وكل القوى الروحية ، والملائكة والجن ... وكل ما تشاهدونه او تقرؤن عنه من اشياء الوجود هي صنعة بين ايديكم تشاهدونها وتدركونها بحواسكم وعقولكم

اما تدل هذه الكائنات على جلال صانعها وعظيم قدرته وانه لا يشبهها ، ولا تشبهه في صفة ما ، وانه وحده المهيمن عليها المسير لها ؟؟ نعم انتم تعلمون هذا كل العلم ، ومع ذلك تقولون — تقليدا ووراثة — : ان صانعها هو بعضها كما هو معلوم لكم ...

المحتشدون : محال ان نقول : ان بعض الصنعة هو الذي صنع كل الصنعة ، بل نتحقق من طريق العلم اليقيني والمشاهدة ، ان لكل صنعة صانعاً هو سواها بلا ريب

الداعية : لا لا ، بل قلتم ذلك ، اما فيكم من يقول « نؤمن بسافستري » إله واحد ضابط الكل خالق السموات والارض ، وبابنه الوحيد (آني) نور من نور ، مولود غير مخلوق تجسد من (فايو) في بطن (مايا) العذراء ، ونؤمن (بفايو) الروح الحي المنبثق من الاب والابن الذي

هو مع الاب والابن يسجد له ويمجد (١) اما فيكم من يقول إن الله روح محض لا تحل في شيء ، لكنها تتجلى ، وتشرق على من تشاء فيعبد لاجل ذلك

اما فيكم من يعتقد ان الروح الحالة في الشمس هي الخالق العظيم ، اما فيكم من يعتقد ان الخالق العظيم هو الروح المحض التي حلت في برهمة وسيفا وفشنو ، ثم قلتم بعد ذلك ان هؤلاء الثلاثة ، إله واحد ، حيث انبثق بعضهم من بعض قبل الدهور . اما فيكم من قال ان موجد هذا الكون روح حلت في الفيل الابيض ، اما فيكم من قال : ان صانع الوجود بقسميه المادي والروحي ، هو روح حالة في طبيعة اليابان ؟ اليس فيكم من انكر كل ذلك زاعماً ان الصانع هو الروح التي حلت في بوذا ، اليس فيكم من قال ، بل الروح التي حلت في الباب ، اليس فيكم من جعل الصانع الاعظم لهذا الوجود ، روح الخير وروح الشر ، التي حلت في (يزدان) و (اهرمن) اليس فيكم من جعل الصانع روحاً تحل في النوافع كالثيران والعجول وطير ابي قردان ، او المضار

---

(١) هذا هو قانون الايمان الهندي القديم ، كما نقله العلامة المستشرق (مالغير) في كتابه المطبوع عام ١٨٩٥ الذي ترجمه للعربية نخله بك شفوات عام ١٩١٢ ومعنى (سافستري) الشمس ، ومعنى (آني) النار ، ومعنى (فايو) الروح ، ومايا هي العذراء المقدسة المشهورة في الهند القديمة وهي والدة الاله

كالافاعي والشياطين او الجميلة الوديعة كالحمام والغزلان والنساء اما فيكم من وصلت به سخافة الفكر والمهانة ، ان انكر الصانع لهذا الوجود زاعماً ان العوالم المادية والروحية هي التي خلقت نفسها بنفسها اي قال : ان الصانع هو الصنعة ، اما فيكم اما فيكم ...

وهنا تنهد الداعية قائلاً : وياليت بعضكم سلم لبعض ، ولم تختلفوا على انفسكم ، وتحزبوا من اجل هذه الاساطير والسخافات ولم ينكر كل فريق منكم الروح التي الهمها الآخرون ، غير مصدق بسوى الروح التي آمن بها هو ، واعتقدها وحدها هي التي صنعت عوالم الوجود ، والمقصود انكم اختلفتم على انفسكم وعلى العلم والحق والدين ؛ وجعلتم الاجيال تختلف باختلافكم وتمرض بمرضكم وتتوارث سخافتكم واساطيركم وتعتقد ان ترهاتكم هذه هي وحي الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل .

وماذا اقول لكم ، وفيكم جماعات كثيرة لها من عمق الفكر وسعة الحضارة ، ما لم يكن لقدماء الفرس والروم واليونان والكلدان ... ومع ذلك لا يزالون يعبدون اشياء كثيرة ، متخيلين ان خالق الوجود هو الروح التي زعموا انها تحل فيها ولن تجدوا مثلا يصدق عليهم الا كلمة الاديب جرجي زيدان : التي قالها حين درس تاريخ سكان مصر القدماء (ورآهم يعتقدون ان الله روح تحل في

الإشياء التي يعبدونها) (لقد عبدوا كل شيء الا الله)

المحتشدون : قلت حقاً ، فكيف النجاة من مضايق هذه البلايا واغلال هـــاتيك التقاليد ، وكابوس رحى الموروثات والتعاليم والتربيات ؟

الداعية : النجاة هي في الرجوع الى العلم والعقل ، الى الحرية والفهم ، الى المعاونة والانطلاق ، الى كبت سلطان التقاليد القاتل ، الى الانتصاف من النفس لوجه الحق وواقع المعرفـــة .

المحتشدون : الا ان الارواح التي زينتها تقاليدنا في اعيننا وجعلتنا نعتقدها هي الله الخالق العظيم ، هي التي حملتنا ثقل هذه الاساطير وبلايا هذه الخرافات والترهات ، لذلك نطلب اليك ايها الداعية الكريم ان تخرجنا منها ، وها نحن اولاء نعلنك المساعدة .

الداعية : انكم لا تستطيعون الخروج من اغلالهـا ، وخنادقها المظلمة وقيودها الحديدية الثقيلة .

المحتشدون : بل في مقدورنا ، وهل في الوجود من ينكر الحق بعد معرفته اياه ، ويؤثر عليه الجهل والخرافة ، ويخني عنقه للخرافات التي تضاد العقل وتناقض العلم والمعرفة !

الداعية : نعم ذلك موجود وبينكم ايضاً ، لانكم انتم ثلاث فرق ، الفرقة الاولى ، هي التي تؤمن بفطرتها وعقلها وعلمها ، وتعلم ان لهذه المصنوعات التي تبدو ماثلة في الوجود

صانعاً ، تدل صنعته على مدا قدرته وعظمته ، وعلى جلال صفاته التي تليق به سبحانه وتعالى ، وعلى مغايرته لها جميعا المادية والروحية ، وهؤلاء يستطيعون ان يؤمنوا بالحقيقة متى ادركوها ، اي يستطيعون ان يؤمنوا بما اوحاه الله على خاتم الانبياء ، ويعلموا ان الصنعة غير الصانع ، وحينئذ يمكنهم ان يأخذوا الوحي الالهي من منبعه الصافي ، خاتم الكتب الالهية القرآن المجيد .

وهنا صرخت هـــذه الفرقة وقالت : ، نؤمن بوجود الصانع العظيم ، بمعارفنـــا وعلومنا ، ونطلبه بايمان وصدق واخلاص ونضحي في سبيل طلبه بانفسنا واولادنا ، ولا ندخر دون ذلك مالا او جـــاها او سلطانا ، وان انحرفت بنا عنه التقاليد والموروثات والتلقينات واوصلتنا الى اعتقاد انه — تعالى — روح يحل في مصنوعاته من انسان وحيوان وشجر وكواكب وشموس ... نعم لاندخر وسعا دون معرفته العلمية الصحيحة ، لاننا نعتقد ان الانحراف عن واقع تلك المعرفة والحق ، يغضب الخالق العظيم ، لذلك نطلب منك ان تذكر لنا الدلائل القطعية التي تثبت ان خاتم وحي السماء القرآن ، جاء بهذه الحقيقة العلمية التي كشفتها في شجرتك ما دمنا تحققنا علمياً ان الصنعة غير الصانع ، وفهمنا انه تعالى واحد ازلي ابدي ، من قبل جميع المخلوقات ، وانه هو وحده الذي لا اول له ولا آخر ، وجميع مخلوقاته الروحية والمادية ، لها بداية ونهاية لانها خلقه وصنعته وحده

وهنا ، ابتسم الداعية وقال : يكفي أن تقرأوا القرآن مرة واحدة ، وتنعموا انظاركم في آياته ، آية آية ، لتفهموا ذلك وها انا ذا اسمعكم جانبا من الآيات البينات ، قال الله تعالى:

« ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » « له مقاليد السموات والارض » « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » « وما قدروا الله حق قدره ، والارض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون » « يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله ، لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب » « والله خالق كل شيء » « بديع السموات والارض ، واذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون » « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط »

ولما انهى تلاوة الآيات ، هتفوا قائلين : نشهد ان الله هو الصانع الاعظم لكل شيء ، وانه واحد ازلي قديم ، ليس هو الروح او المادة ، بل هو وحده خالق الروح والمادة معاً ، وخالق كل شيء ، وخالق الازمنة والامكنة ، وهو وحده كان قبل خلقه ، كان ولا يزال متفرداً بالوجود الابدي القادر وحده ، لاتحيط به مخلوقاته من زمان او مكان ، او سواهما ، ولا يماثل شيئاً منها ولا تماثله ، بيد ان جميع مخلوقاته في قبضته وقهره وسلطانه ، هو يحيط بها جميعاً . وان

محمداً عبده ورسوله ، ختم به الرسالات السماوية والوحي ، وان الله لم يحرم امة من الامم من الرسالات الآلهية في زمن من الازمان ، وان كل جمال وخير وهدى وانسانية وسمو واجتماع ، جاءت على السنة الرسل السابقين ، هي مذخورة في خاتم الوحي الآلهي ، القرآن المجيد ، وان كل جمال وخير وهدى وانسانية وسمو واجتماع جاءت بعده ، انما هو مصدرها وينبوعها الخالد الحي ، وقد ارسل الله انبياءه لدعوة الى الايمان به ، ايماناً خالياً من كل شائبة من شوائب الوثنية والشرك والتشبيه والتمثيل والحلول والانتقال ، سائلين المولى الكريم ، ان يعفو عنا ما مضى من عبادة سواه .

الداعية : قد عفا الله عنكم منذ الساعة التي آمنتم به وحده لان الاسلام اليه ، يقطع جراثم عبادة مخلوقاته المادية او الروحية المبتدأة بالعدم والمنتهية الى العدم (١) .

---

(١) ان اجمل كلمة قيلت في هذا الموضوع ، هي الكلمة التي قالها حمزة بن علي الزوزني وزير ابي علي منصور الحاكم بأمر الله الفاطمي ، في بعض محاضراته التي كان يلقيها على تلاميذه في الجامع الازهر حيث جاءت بهذا النص (ان شر الكفر عبادة العدم ، وما جئنا لندعو لعبادة العدم ...)

وهو يقصد ان وجه الله وحده هو الذي لم يسبقه عدم ولن يدركه عدم ، وما عداه يصدق عليه قوله تعالى (كل شي هالك الا وجهه) راجع كتاب (اصل الاسلام وفروعه)

المحتشدون : الآن علمنا يقينا ، ان جميع مايهدي اليه العلم المطلق المحرر ، الذي يكشف واقع المعرفة ، ينطبق على ما جاء به خاتم الوحي الآلهي ، الذي وصل وحده للانسانية من طريق العلم اليقيني المحرر المتواتر ، اذن فكل ما نادى به المفكرون المحررون من حقائق ، هو واقع وحي السماء (القرآن المجيد) ولكن نريد ان نوجه اليك سؤالا دقيقاً جداً ، وهو الذي يحيرنا ويجعلنا نرتاب في صدق كل ما ينسب الى الخالق العظيم ، ويقال : ان الله اوحاه الى رسله الاولين السابقين .

الداعية : قولوا قولوا ، لا تخافوا ما هو هذا السؤال .

المحتشدون : ما دام العلم والقرآن يثبتان ان خالق الوجود الازلي الابدي هو وحده الذي اوجده مادة وقوة وما دام لا يستطيع احد ان يحيط بكنهه علماً ، وما دام هو الصانع والصنعة غير الصانع بلا ريب ، فكيف نجد في بعض الكتب الدينية المنسوبة الى الوحي كالفيدا والزافستا والرامايانا وسواها ، ، انه هو روح ازلية محض ، حلت في بوذا او برهمة او كريستا او متوا او ادريس او هذا ذاك من آلاف الاشخاص المؤلهين ، اليس هذا مناقضة للعلم والقرآن ، إذن فما ينسب لله من وحي فيه اختلاف حتى في معرفة الخالق العظيم .

الداعية : ان وحي الله المتصل بصفاته وما يجب له وما يجوز وما يستحيل محال ان يكون فيه اختلاف او تغيير او تبديل ؛ لان الله الخالق ، هو هو من قبل خلق الوجود ومن بعده ، وإن وحيه يعطي هذه الحقيقة في كل زمان ومكان ، ولكن اذا تقادمت العهود على كتب الوحي وتوالت الاجيال ، يحصل بطبيعة الحال التغيير والتبديل ، ويندس في نصوص الوحي كثير من الشروح والتأويلات ، وكثير من الموروثات حتى تطغى عليه وتخرجه عن حقيقته ، وهذا هو السبب الوحيد الذي من اجله يرسل الله الرسل تباعاً من حين لآخر .

وصفوة القول : ان الوحي الآلهي الذي انزله الله على رسله منذ ايام ادريس ومن قبله ومن بعده كشيث ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم ، هو هو في ضوء واقع المعرفة . والقرآن المجيد ، كله حق وصدق ونور ، قال الله تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصينا به نوحاً ، والذي اوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب) (١)

المحتشدون : صدقت صدقت ، ولكن الذي نقصده من

---

(١) سورة الشورى ١٣

سؤالنا ، هو ان نفهم منزلة الكتب الدينية الاخرى التي تعيش بيننا اليوم .

الداعية : قبل الخوض في هذا البحث ، يجب ان تعلموا ان هذه الكتب مر عليها مئات من القرون والاجيال ، فليس لها سند علمي قطعي يقيني ، يثبت ان كل حرف من حروفها ، وكل كلمة من كلماتها ، لم تغير ولم تبدل ، وأنتم تعلمون ان تغيير كلمة او حرف يذهب بحقيقة الوحي إلى غير مجراه ، كما تشاهدون ذلك في القطار الحديدي الذي يقصد ناحية ، فيأتي من يدير المقص بأصبعه منحرفاً به إلى طريق آخر ، فيسير فيه ، ومن يراه يظنه سائراً في طريقه المقصود ، وهذا لا يمنع ان في الكتب الباقية ، الكثير الكثير من نصوص العقيدة الصحيحة ، لذلك ينبغي ان تعلموا انكم ان كنتم لاتقبلون نصاً من النصوص الدينية إلا إذا ثبت لديكم سنده العلمي اليقيني المثبت وروده عن مؤسس الدين الاول ، فأنتم محال ان تقبلوا نصا واحدا يذكر لكم

وكم يجب على الانسانية ان تحمد الله ، الذي تكفل بحفظ الوحي الذي انزله على خاتم الانبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، حفظاً معجزا فيه الوثوق العالمي اليقيني وفيه الدلائل القطعية التي لا يخالطها الشك او الريب ، ولذا ارى من الواجب الديني الانساني العام ، ان ينظر العلماء ورجال الفكر المحررون الذين يجاهدون في كشف واقع المعرفة بكل

امكانياتهم ، ان ينظروا في خاتم الوحي الالهي ، القرآن المجيد ويتفهموا جيداً ، فما وجدوه من كتب الوحي المذكورة التي تفقد السند العلمي القطعي ، موافقاً للقرآن آمنوا به واخذوه وما وجدوه مخالفاً تركوه غير آسفين عليه ، لانه يبعد العقل الانساني عن الله والحقيقة والوحي والتفاهم العلمي الحر

ويكفي الوحي الالهي مكانة لدى العلم والعلماء ، انه لا يوجد كتاب وحي وصلت كل نصوصه كلمة كلمة ، وحرفا حرفاً ، بل وحركة حركة بالطريق العلمي اليقيني سوى القرآن المجيد الذي تكفل الله بحفظه منذ اليوم الذي انزل فيه « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » حتى لهجات القبائل « القراآت السبع » إنما ينطق بها اليوم ، حرفاً حرفاً كما تلقاها الاصحاب عن رسول الله ﷺ ، بالتواتر العلمي القطعي .

— بعض كهنة البراهمة ، ياسيدي الداعية :

لعله يصعب على امثالنا الذين شاخوا في حفظ هـذه الكتب الدينية درساً ونظرا ، ان يتنازلوا عن اي نص من نصوصها ويعتبروه ظنياً ، وذلك بحكم الوراثة والتلقي والتربية ، فهـل من مخرج ؟ ونحن نجد في صدر كتاب الفيدا (١) ، ان الله الذي خلق العالم ، هو موجود ازلا قبل خلق الارواح والاجساد ، وقبل خلق اي عالم من

---

(١) الفيدا كتاب البراهمة المقدس ، وقد نقلنا بعض نصوصه في كتابنا (دين ابراهيم) بيروت ، مطبعة الانصاف

العوالم ، وانه هو وحده الذي اوجد كل شيء من العدم ، ثم نجد في (الفيدانتا) — ملحق الفيدا — انه في ابتداء الامر كانت روح برهمة التي هي الكلمة ، وكانت هذه الكلمة عند الخالق العظيم ، وكانت هي الخالق العظيم نفسه اي اصبحت الكلمة هي هو ؟ فكيف المخرج من هذا التناقض المخيف؟

الداعية : اذا اصررتم على التمسك بهذه الجمل التى ثبتت انها لم تصل بطريق علمي قطعي ، فالمخرج سهل ، هو ان نفسر هذه النصوص المتشابهة على ضوء النصوص المحكمة ، التي رافقت القرآن والعقل والعلم ، كأن نقول : في ابتداء الامر خلق الله روح برهمة قبل خلق اي شيء آخر ، خلقها بكلمة كن ، لان كل مخلوق في الوجود هو كلمة من كلمة الله (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي ، ولو جئنا بمثله مددا) وكونها كانت عند الله اي لم يكن موجودا الا الله الذي لا اول له والكلمة التي كان لها الابتداء على كل المخلوقات ، واما ذوبان الخالق العظيم او حلوله في احدى كلماته اي مخلوقاته فهي قضية مستحيلة . على اننا عرفنا ان امثال هذه الكلمات ادخلت على كتب الوحي ادخالاً ، لا سيما وهي ليست فيدا بل ملحقة بالفيدا وستجدوا بسط هذه النصوص في بحث المحكم والمتشابه لدى اهل الاديان كافة ، وسألتقي بكم — ان شاء الله — بعد ان اتحدث عن الفرقتين الثانية والثالثة .

واما الفرقة الثانية ، فهي التي ركبها هواها ، واستولى

عليها شهوة رفع الاسم بين الناس ، والشهرة باسم الفيلسوف والمفكر ، وسوى ذلك من المغريات الباطلة الكاذبة ، وزعمت نفسها انها لا تؤمن الا بالواقع الوجودي ، بل لا تعبد إلا نفسها ، زاعمة انها هي كل شي . وهذه وان كانت ترى الادلة القاطعة ملأ اسماعها وابصارها ، فهي تتعامى لان شهواتها التي طغت على مجموع مداركها النفسية ، لم تجعل لها سبيلاً لفهم الحقيقة ، فهي سادرة في غوايتها ، لاهية في مطالبيها ، جارية وراء نوازعها الهوجاء الملتهبة ، لا تؤمن إلا ان ترى الموت قد اخذ يجري في مفاصلها أي تؤمن في الساعة التي آمن بها فرعون الذي كان ينادي : أنا إله الآلهة « انا ربكم الاعلى » وهذه الفرقة وان تسترت في دين ما ، فهي تتخذه تجارة ، وتستغل الرعاع والمغفلين وتركبهم الى شهواتها ومآربها « ارأيت من اتخذ إلهه هواه افأنت تكون عليه وكيلاً ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ، إن هم إلا كالانعام بل هم اضل سبيلا » (١)

واما الفرقة الثالثة ، فهي المؤمنة بتقاليدها ، المشدودة بوراثتها ، المسجونة بسجن تربيتها الخاصة وهذه تؤمن بأن الواحد اثنين ، بل تؤمن ان الواحد خمسة او سبعة او تسعة او تسعة عشر (١) ، اذا قالت التقاليد ذلك ، وتؤمن

---

(١) سورة الفرقان ٤٣

(٢) للاطلاع على رأي الذين يدينون بالخماموس والسابوع والتاسوع ... راجع كتابنا (دين ابراهيم)

بأن الرجل انثى والانثى رجل اذا لقنتها الوراثات ذلـــك وتصدق ان السماء ارض والارض سمـاء ، اذا سمعت من موجهيها ذلك ... وهذه لارجاء في ان تعي او تبصر او تدرك الادلة التي تكشف الحقائق ، اذ لا تستعمل عقلاً او فكراً او مقارنة ، وكل الحق لديها ما هو كائن في معتقدها مهما كان حال ذلك المعتقد (لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم اعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، اولئك كالانعام بل هم اضل ، اولئك هم الغافلون) (١)

(١) سورة الاعراف ١٧٨

الاصل عبادة الله وحده

والايمان بالرسل ومحبة الناس

معلوم ان العقيدة الصحيحة ، التي هي الفطرة ، صحبت الانسان منذ نشأته الاولى ، لذلك نجد آثارها لدى الامم القديمة ، واضحة جلية من ، قبل ان يطرأ عليها مرض عبادة الروح .

اذن ، فالعقيدة الصحيحة ، هي الاصل الصحيح ، وهذا حق ، وفعلا قد وجدنا ، في اقدم الآثار المصرية ، وما وصلنا عن المصلحين الدينيين الصينيين الكبيرين (ليو وليونسو) ورأيناه في عقائد الفرس القدماء ، وسكان (بورما) وقد فطن الى هذه الحقيقة ، فيلسوفنا الكندي ، وشرحها شرحاً علمياً وافياً ، في رسالته (اتفاق جميع البشر على عقيدة التوحيد) (١) كما حققها العلامة الالماني (ماكس موللر) معتمداً على الآثار والنقوش والحفريات ، حتى انه انهى

---

(١) راجع كتاب (ملوك الطوائف للمستشرق الهولندي ، دوزي ، تعريب كامل كيلاني ، ودائرة معارف البستاني مادة - بورما — والمقتطف مجلد ٧ ص ٦٠٢ وصفوة الاعتبار لمحمد بيرم التونسي ١ — ٩ وابن ابي صيبعة ١ — ٢١٢

ايحائه بقوله : (ان الناس كانوا اول عهدهم موحدين للذات الآلهية ، وقد عاشوا على ذلك التوحيد دهراً طويلاً ، ثم طرأت عليهم الوثنية بفعل زعمائهم الدينيين ، فسوّلوا لهم تعدد الآلهة ، ليرتفعوا في نظرهم الى مرتبة خزنة الاسرار الآلهية ، ومهبط العلوم العلوية (١) (او الى الالوهية نفسها وهذا عين ما رآه المؤرخ الفرنسي (جيون) في كتابه (اللادينية المستقبلة)

وهذه العقيدة الصحيحة ، هي التي نراها في الكتب الدينية قاطبة ، وان تطاولت عليها الازمان ، وتراكمت عليها الحقب والاجيال ، وتوارت بين شتى لغات البشر وتآويلها وتفاسيرها واساطيرها .

ولا ريب ان الله سبحانه ، محال ان يترك الانسانية ، تتخبط في ظلمات عقليتها المنحطة ، لذلك ارسل اليها رسلاً ينقذونها من التخبط في الظلمات ، ناهضين بها الى نور الحقيقة والمعرفة الصحيحة .

وها نحن اولاء نكشف الستار للقراء عن نصوص العقيدة الصحيحة التي لا تزال مذخورة في النقوش والآثار وكتب الاديان جميعها ، نكشف الستار عنها لانها المنار الساطع ، الذي يهدي السفن التائهة الى شاطيء السلامة والامن . وقد حرصنا ان نقدمها حسب تسلسلها التاريخي من ادريس الى خاتم الانبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) راجع ص ٣٣ من كتاب (محاسن الاسلام) للقصاب.

ادريس عليه الصلاة والسلام

ارسله الله منذ خمسة وستين قرناً تقريباً ، (١) ومن النصوص الصحيحة المحكمة المحفوظة المنقولة عنه ، التي ظفر بها الاثريون الباحثون ، في نواويس المصريين القدماء . هذا النص (مولاي وسيدي ، خلقتني وصورتني ، وجعلت لي عيناً ابصر بها آثار قدرتك ، واذناً اسمع بها تقديسك ، الله العظيم ملك السموات والارض وجميع الكائنات) (٢)

نوح عليه الصلاة والسلام

زار هذا العالم منذ خمسة واربعين قرناً ، وقد لاقى من عنت عباد التقاليد والموروثات والخرافات ؛ الذين يعتقدون ان الله روح يحل في ما يعبدون البلاء الكثير ، فضاق بهم ذرعاً بعد الصبر الطويل ، وابتهل الى الله قائلا « رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ، إنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا »

---

(١) راجع سورتي الشورى والنمل من تفسير الجواهر .

(٢) راجع كتاب « ديانة قدماء المصريين » تأليف العلامة الاثري الالماني « استندروف » تعريب سليم حسن ، مصر مطبعة المعارف ١٩٢٣ وتك ٥ من العهد القديم وعب ١١ — ٥ من العهد الجديد

ابراهيم عليه الصلاة والسلام

زار هذا العالم منذ اربعين قرنا ، ولو رحنا نستقصي ما جاء من سيرته في كتب البراهمة والبوذيين والصابئة وسائر كتب الاديان العالمية لضاق بنا المقام (١) لقد تنزل لعقلية عباد الارواح التي يرونها حالة في الكواكب ، فسما بها شيئاً فشيئاً ، واراهم أن كل ماعبدوه من دون الله ، يوجد من هو اكبر منه واجدر بالعبادة ، واستطاع بهذا الاسلوب الذي يصلح ان يكون دليلاً قاطعاً لاولي العلم والمعرفة في كل عصر وزمان ، ان يزحزح عنهم بعض ظلمات الارواح المعبودة في آلهتهم ، المنصوبة في معابدهم .

موسى عليه الصلاة والسلام

ارسله الله منذ خمسة وثلاثين قرنا ليخلص بني اسرائيل من عبادة المخلوقات ، والنصوص المحفوظة الصحيحة المحكمة التي جاءت في العهد القديم « التوراة » كثيرة جدا منها « اسمع يا اسرائيل : الرب إلهنا رب واحد » (٢) « الرب إلهك تتقي وإياه تعبد وباسمه تحلف » (٣)

---

(١) راجع كتاب « دين ابراهيم » بيروت مطبعة الانصاف
(٢) تث ٦ - ٤ (٣) تث ٤٦ - ١٣

« انا هو الرب إلهك لا يكن لك إله غيري » (١) « انا الرب لا اتغير » (٢) « انا الرب ولا إله غيري » (٣)

المسيح عليه الصلاة والسلام

ارسله الله منذ عشرين قرنا ليصحح الاغلاط التي دخلت على الفريسيين ولذا لم ينقض الناموس الذي جاء به موسى وذكرناه عنه .

وها هي النصوص المحكمة التي تكشف لنا ذلك .

« وهذه هي الحياة الابدية ، ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي ارسلته » (٤) « للرب الهك تسجد ، واياه وحده تعبد » (٥) « الرب الهنا واحد » (٦) « من يقبلني يقبل الذي ارسلني » (٧) « الله لم يره احد » (٨)

* * *

والآن بعد ان اجملنا ما ورد في كتب اهل الاديان من النصوص المحكمة الدالة على العقيدة الصحيحة ، نقول :

ربما يسألنا بعض القراء قائلين ، نجد هناك جملًا اخرى تنسب ايضاً إلى ما نقله المستشرقون عن إدريس وسواه من كتب الاديان القديمة ، تدل على ان لله صفات هي صفات الروح

---

(١) تث (٢) ملاخي٣–٦ (٣) اشعيا ٥–٢١ «٤» يو ١٧–٣ «٥» مر ٤ – ٨ «٦» مر ١٢–٢٨ «٧» لو ٩–٤٨ «٨» يو ١٨–١

من حلول وانبثاق وانتقال وتناسخ وتجسد وتأنس وظهور وخفاء ... وجوابنا على هذا السؤال الذي نراه ضروريا ، هو ان النصوص الدينية إنما أنزلت بلغات البشر ، وهذه فيها العام والخاص والمتشابه والمحكم والمجاز والحقيقة ، فأنت تجد في لغة البشر مثل هذه الكلمات :

تنفس الصبح ، فتح الكرسي ذراعيه ... فالصبح لايتنفس وانما المقصود به ، اشارة إلى تجدد الحياة ، والمقعد لا يفتح ذراعيه وإنما المقصود هو اشارة الى انه معد لاستقبال من يريد الجلوس عليه ، وهكذا حين نجد نسبة اليد والرجل والعين والقيام والقعود ... إلى الخالق العظيم ، انما المقصود ما تدل عليه هذه الالفاظ من السلطة والاطلاع على الخفايا والعلم بما يجرى في الوجود وسوى ذلك ، لا ان الله روح يصدر منه ذلك في زمان او مكان ، اذ المكان يعين البداية ، ومتى ثبتت البداية ، ثبتت النهاية ، وكل ذلك محال على الخالق العظيم

ولاهمية هذا الموضوع ، جعلنا فصلاً خاصاً تحت عنوان « المحكم والمتشابه » ورجاؤنا إلى القراء ان ينعموا انظاوهم فيه ، اذ يصدق عليه المثل القائل « كل الصيد في جوف الفرا »

خلاصة القول في عقيدة ان الله روح

عرفنا أن عقيدة ان الله روح عريقة في القدم ، وعرفنا انها زاحمت عقيدة وحي الله ، وانتشرت بين جل الامم القديمة انتشرت وهي ترتدي اثواباً جديدة ، وفلسفات متباينة ، لا تزال اثارها الى اليوم واضحة جلية ، ولكنها لا تخرج في جملتها عن تخيلات الاساطير وقيود التقاليد ، خذ مثلاً الاسطورة المصرية القديمة الزاعمة ان الله روح ازلية محضة تبقرت ، هذه العقيدة وان كنا نجد آثارها في العصر الحديث في الهند تؤيدها فلسفة غاندي ، واشعار طاغور وكلمات علماء وكبار كتاب البراهمة ، فانها لاتصبح عين واقع المعرفة بحال .

وكم من طرافة ساذجة نجدها في جواب الاب « جاكرنا » رئيس كهنة البراهمة ، حين سأله الكاتب الانكليزي الكبير « برنارد شو » :

في اي الاديان نجد الحقيقة الالهية خالية من الاساطير ؟

— في البرهمية وحدها .

ولما كانت نظرية التقاليد لا تخرج عن نطاقها الضيق ولا تتجاوز اغلالها وتقاليدها وقيودها ، وهي بلا ريب غير النظرية العلمية الحرة التي تبنى على الدليل المنطقي المجرد ، فانه لا يذعن لنظرية التقاليد او يصدقها الا من أنشىء عليها اودخلت في روعه منذ نعومة اظفاره واشربتها عواطفه وميوله

واتجاهاته اشراباً ، وأقيمت حولها تربيته وتعليمه حتى امست هي هـــو .

ولئن كان يلجأ كهنة التقاليد في العالم الى الاعلان بان تعاليم تلك التقاليد هي اسرار موروثة عميقة جداً ، فوق مدارك العـــلم ومتناول المعرفة الانسانية ، ليلقوا اغشية صفيقة على بصائر العلماء الناقدين والمفكرين الباحثين ، فانها لن تكون ابداً هي عين واقع المعرفة ، اذ لا تخرج عن كونها دعوة مجردة واقوالا تقليدية جوفاء تنهار بمجرد البحث العلمي الحر والنقد الصحيح النزيه المقارن .

على ان امثال هذه العقائد والاساطير التي تُفرض على الناس منذ طفولتهم ، ويلقنون انها فوق العـلم والمعرفة ، هي موشكة الزوال ، اذ اصبح كل من رزق بعض الادراك ، يعتقد ان الله محال ان يخاطب الناس بما يقصر عنه علمهم ولا تدركه عقولهم .

وها هو العلم اليوم قد اشرف على عالم القوة : فقد بحث العلماء المادة ، فاكتشفوا انها مركبة من عناصر ، فبحثوا العناصر عنصراً عنصراً ، فوجدوا انها مركبة من ذرات ، فحطموا الذرة ، فانكشفت لهم القوة المعنوية التي هي قوام عالم الذرة فأدركوا ان القوة مخلوقة كالمادة .

ولا ريب ان العقل بعد ان اطل على عـالم القوة المعنوية واخذ يسخرها في سبيل مصالحه واغراضه ، يستحيل عليه ان يصدق

ان خالق الوجود هو مثل تلك القوة ، او هو تلك القوة نفسها اذن فالعلم اليوم ، فضلا عن الوحي ، يرفض ان الله خالق الوجود ، هو قوة روحية يحل في اشياء الوجود وعوالمه ، مهما اتخذ المتفلسفون لهذه العقيدة من فلسفات وتوجيهات وتربيات ، ومهما البسوها من مظاهر الحقيقة ، اي يستحيل أن يقبل العلم اليوم ان يوصف خالق القوة والارواح بصفاتها الخاصة بها من حلول وانتقال وظهور وخفاء اي يستحيل ان يقبل ان الصانع هو عين الصنعة وان الخالق هو عين المخلوق .

والآن قد عرف القراء بيئات الامراض الاسطورية الاولى ، ووقفوا على منابعها وجداول اطرادها لدى الامم ولذا فهم يستطيعون ان يعالجوا بقايا عقيدة ان الله قوة روحية تحل وتتجسد وتتأنس ، يعالجونها بنور المعرفة والبحث الحر والمقارنة البارعة ، والسداد في النظر ، اذ لا يليق بالانسان ان يستفيد من نور العقل في كل ما يأخذ او يدع ويطفأ ، في هذه الناحية التي هي أقدس ما يمس الروح الانساني السامي وجليل قيمها

البيئة الاولى لمرض عبادة الروح

يحسب كثير من الناس ، ان العدوى من خصائص عالم الاجسام ، فتراهم يتحرزون اذا رأوا مريضاً يعدي ، بسل او جدري او حمى ، ولكن قلما يدركون ان عدوى العقائد والافكار ، هي اشد فتكاً واعمق بلاء .

وكما ان اطباء الاجسام ، يلجأ اليهم الناس لتخليصهم من عدوى الاوباء المادية ، كذلك اطباء الروح ، يلجأ اليهم الناس ، لتخليصهم من عدوى العقائد الموبؤة والاساطير وسواها . وان كان الاطباء الاول كثيرين ، والآخرون — وهم رسل الله وتلاميذهم واتباعهم — قليلين ، ورحم الله امير الشعراء شوقي حيث يقول :

اساة جسمك شتى حين تطلبهم
فمن لروحك بالنطس المداوينا ؟

ونحن في هذا الفصل ، نتحدث بصورة واسعة النطاق مستقصاة ، من اعماق التاريخ والآثار ، عن عدوى العقائد والاساطير ، وكيفيات تسرب اوبائها ، وانتشار ادوائها بين الامم .

ويسرنا ان يفهم قراؤنا ان البيئة الاولى التي تفشت فيها أدواء العقائد الفتاكة ، كفكرة ان الله روح كلي او جزئي

يحل في اشياء الوجود ، وكفكرة تناسخ الارواح وسواها (١) — ما خلا الطوطم والنار والصلب — هي بيئة مصر القديمة وها نحن اولاء ندلي بتفصيلها بين ايديهم :

(٢) الحلول الجزئي

لما مرضت العقلية المصرية القديمة ودخل عليها ان الله روح يحل في اشياء الوجود ، كان اول شيء اعتقدت حلول الله فيه هو ادريس وكان ذلك الاعتقاد بعد مجيئه رسولا لمصر بقرون ، وهذا الحلول الجزئي هو الاول من نوعه في التاريخ.

وما زال هذا الحلول الجزئي يتطور ويتضخم ويتناول اشياء اخر غير ادريس ، حتى ظهر بمظهره الواضح في تأليه (رع) أي الروح التي اعتقدت انها الله المزعومة انها حالة في الشمس وكان ذلك في الاسرة الرابعة (٢) حيث شرع الكهنة ينفثون في افكار الشعب ان (رعا) هو روح الشمس ، الذي يديرها ويسير بناتها الكواكب — حسب تخيلهم — وهو إله خليق بالتقديس ، وكانت نظرتهم هذه القدسية ، هي البذرة

---

(١) هذا رأي المؤرخ اليوناني الشهير « هيرودتس » المتوفي عام ٤٢٥ ق م اما العالم الاثري الالماني « استندروف » فانه يرى الموطن الاول للتناسخ هو الهند لا مصر .

(٢) ملوك مصر الفراعنة احدى وثلاثون اسرة بدؤها منذ سبعين قرنا وختامها منذ ثلاثة وعشرين قرنا راجع كتاب (الله) للعقاد ص ٦٠

الاولى التي افضت بهم الى عبادة الشمس والكواكب . (١)

وحين شاهد بعضهم السماء ونجومها ، وكواكبها وشموسها تخيلوا ان خالقها ، روح كبيرة ازلية محضة حالة فيها ، وهي التي تديرها ، فعظمت تلك الروح في عيونهم ، واقاموا لها تماثيل ترمز لها الكواكب ، وأخذوا يطوفون حولها فرحين ، لانها هي ايضاً تطوف في السماء وتسبح ، وما زالت الاجيال تترى وتتابع ، وعبادة اشياء الوجود تتطور وكلها مرتكزة على فكرة أن الله روح ، تحل في ما يختارونه من جزئيات اشياء الوجود ، حتى أفضى بهم الامر ، منذ ستة وثلاثين قرنا ، الى عبادة كل النوافع والمضار (٢)

ولما تقدمت المعارف في مصر القديمة ، وبالحري علم الفلك ، ادرك العلماء ان الشمس سائرة في طريق الانطفاء شيئاً فشيئاً ، اي تأكدوا ان القوة التي هي قوام تماسك عناصر الشمس المادية ، آخذة في الضعف والتلاشي شيئاً فشيئاً ، وانها ليست هي الله ، بل مخلوقة ككل المخلوقات ، لذلك رفضوا القول بان الله روح ازلية قديمة حالة في الشمس ، وانصرفوا عن عبادتها ، واعلنوا لتلاميذهم انها ليست مقدسة بل مخلوقة

---

(١) شاعت عبادة الشمس والكواكب بمصر منذ خمسة وثلاثين قرنا ، راجع كتاب (سواء السبيل) ص ٤٧

(٢) راجع « سواء السبيل » ص ٤٧ وكتاب « قدماء المصريين طبع بولاق عام ١٣٠٩ »

ككل شيء .

وقد تسربت هذه الافكار العلمية المحررة ، الى العامة فشاع بينهم الالحاد والهرطقة ، فخشي الكهنة المحترفون عاقبة هذا الالحاد وتدبروا الامر ، ففتقت لهم الحيلة اسطورة غريبة ، شأن الوثنيين في لجوئهم الى وضع الاقاصيص والاساطير ، حين يفقدون الدليل العلمي القاطع ، الذي يثبت معتقدهم . تلك الاسطورة الموضوعة الغريبة هي :

إن « رعاً » — اي قرص الشمس الحالة فيه الروح المعبودة — حين شاهد انصراف الناس عن عبادته ، عقد مجلساً دعا فيه الآلهة ذكورا وإناثا . وبعد التداول في الامر ، اجمعوا على اهلاك سكان الارض ، لانهم اصبحوا جميعا ، مسؤولين عن هذه الجريمة المميتة التي توارثوها وانغمسوا فيها إلى ذقونهم ، وقد تطوعت الالهة « حاتحور » إلهة « دندرة » ان تقوم بانفاذ قرار « رع » المجمع عليه من قبل الآلهة ، وفعلاً نزلت مسرعة لتدمر سكان الارض ولكن « رعاً » اخذته الرحمة والشفقة ، واصبح متحيراً مترددا ، بين العدل الذي يقتضي اهلاك سكان الارض جميعاً وبين الرحمة التي تقتضي الصفح عنهم والمغفرة لهم ، وقد تغلبت الرحمة على العدل ، — وهنا راحت السكرة وجاءت الفكرة — ماذا يصنع بقرار الآلهة القاضي باهلاك الجميع ؟ وقرار الآلهة لا ينقض ابدا !! واخيرا وجد طريقة يخلص الناس بها من بطش « حاتحور » دون ان ينقض قرار الآلهة ، تلك الطريقة

هي انه خلق امام « حاتحور » بحيرة مـــترعة من الجعة ومعلوم ان الآلهة في اساطير القدماء ، متولعة بالخمور الى حد الجنون ، وفعلا لم تكد « حاتحور » ترى البحيرة المسحورة الصافية تشع بين يديها ، وانفاس خمرها المعتق تملأ الاجواء عطورها ، حتى هوت إلى البحيرة ، وطفقت تعبها عبا على عادة الآلهة ، ونسيت الامر العظيم الذي من اجله نزلت الى الارض !!

وهكذا استطاع « رع » بذكائه الالهي ، ان يحل لاول مرة في التاريخ ، معضلة تعارض العدل والرحمة يحلها بكل سهولة ويسر (١)

تأنس رع

وبعد هذه الحادثة اشفق (رع) على الانسانية المعذبة وقرر ان ينزل اليها بنفسه ، ليتم نعمته عليهـــا وغفرانه وينقذها من مسؤولية الجريمة المميتة ، ولكن كيف ينزل وهو الخالق العظيم ؟ المسألة بسيطه ، اما يقولون عنه انه روح ؟ والروح بطبيعة الحال تصعد وتهبط وتحـل ، اذن فنزوله في الامكان ، وفعلا نزل وحل وتأنس أي اتخذ لنفسه طبيعة انسانية — كما قصوا — ومن ذلك اليوم الذي نزل فيه ،

---

(١) لاجل « رع وحاتحور » راجع كتاب « ديانة قدماء المصريين » تأليف العـالم الالمـاني الاثري الشهير « استندروف » تعريب سليم حسن ، مصر مطبعة المعارف ١٩٢٣

اصبح له طبيعتان ، يكلم الناس باحداهما كانسان ، ويحفظهم بالثانية كإله ، وقد اطلقوا عليه اب الاحياء وامهم (١) ، وكان نزوله في جسم « رمسيس » الملك ، ومن يوم نزوله فيه وتصدره سمي « رعمسيس » اي تصدر اسم « رع » اسم « رمسيس » كما تصدرت روح « رع » جسد « رعمسيس » وحذفوا الراء الثانية تخفيفاً ، وهكذا اصبح « رع » يصدر اوامره الالهية بواسطة « رعمسيس » الملك . ومن اجل ذلك استحق عبادة شعبه له ، لان جسمه اصبح موطناً للخالق العظيم « وتعالى الله عما قالوا علواً كبيراً »

الكلمة

معلوم ان كل مخلوق هو كلمة أي وجد بكلمة — كن — من الخالق العظيم ، ولذا كان إطلاق لفظة كلمة على كل مخلوق ، هو الاصل في اعتبارها النشوئي الابتدائي ، وقد عرف المصريون ذلك في اول الامر ، ولكنهم بعد رفع — رمسيس إلى الالوهية ، اصبح للكلمة لديهم معنى الهيا جديدا ، يفسر بأن — رعاً — هو الكلمة الذي كان قبل خلق الازمنة ، اي ان الكلمة هي الله الموجود الاول التي تأنست في جسد — رمسيس — وتجسدت وان العبادات وان كانت توجه إلى — رع — بهذا الاعتبار ،

(١) راجع كتاب « الله » للعقاد ص ٦٠ و ٦١

الا انها هي في الواقع مرفوعة الى الاله الرئيس بالذات ، فيكون — رع باعتباره المتأنس إلها وسيطا ؛ وباعتباره مطلقاً في السماء إلها رئيسا !! ومن هنا كثر الوسطاء في تاريخ مصر القديمة ، أمثال — فتاح — إله (منف) فأنه ايضاً كلمة متجسدة انبثق عنه جميع المخلوقات (١) .

اقدم ثالوث في العالم

عرفت مصر القديمة في الاسرة الخامسة للفراعنة الثالوث لاول مرة في التاريخ ، وسبب اهتدائهم اليه ، هو النمو الاسطوري ، لان ادريس لما رفع الى الله شرع الكهنة ، يغالون فى تقديسه ، وقالوا عنه : محال ان يكون انسانا ثم رأوا روحه ممتازة امتيازاً خاصاً ، ولولا امتيازها لما رفع الى الآله الرئيس ، وما زالت هذه المغالاة في العقيدة ، تنمو وتترعرع حتى ضاق بهم الامر ، فلم يجدوا متسعاً يتنفسون فيه ، حتى عقدوا مجتمعاً وقرروا فيه الوهية ادريس ، وتوجوه بتاجها الازلي وكان ذلك في عهد الاسرة العاشرة (٢) وقد جر

---

(١) كتاب «الله» ص ٦٥

«٢» ان الاجماع الذي يذكر هنا ، هو الاجماع الموضعي لا اجماع الشعب المصري كله لانه مرض عقيدة ان الله روح ، جعل المعبودات كثيرة ، وجعل كل سكان منطقته يقررون ما يحل فيه المعبود مما يلد لها من انسان او حيوان او نبات او جماد ...

هذا القـــرار الاجماعي الى تأليه ولده (حورس) كما استلزم تأليه زوجته (ايزيس) التي عُبِدَت بصفتها إلهة مستقلة صَنْحَجر في المديرية الغربية من مصر وهكذا انتهى الامر الى الثالوث المكون من ادريس وولده (حورس) وزوجته (ايزيس) وكان ذلك باجماع من الكهنة ، ومن هنا نجد الثالوث المصري ، اقدم ثالوث في العالم ، ثم تبعه بعد ذلك بقرون نشوء ثالوث آخر ، مؤلف من (اتون وزوجته موت وولدهما خنس)

الثنويون

بعد قرار الوهية ادريس ، رأى فـــريق من الكهنة حسد اخيه — سيت — له ، فأعطوه ايضاً الالوهية ، ولكن الوهية الشر ، فأصبح في مصر — لاول مرة في تاريخ العالم كله — إلهان ، إله خير واله شر ! ومقصودهم من عبادة إله الشر — سيت — الذي عرف بأسماء كثـــيرة لدى الامم القديمة ، تملقهم له ، ليكف عنهم أذاه وشره .

الحلول الكلي

ان عقيدة ان الله روح ، يحـل في جزئيات الوجود ، ادت الى الاعتقاد بانه — تعالى — روح كلي يحل في كل اشياء الوجود ، ولذا رآه قدمـــاء المصريين حالاً في ارض مصر مباركاً نيلها .

هذه الفكرة المصرية القديمة ، التي ترى ان الله روح ازلية عامة ، حالة في كل عوالم الوجود ، هي اشبه شيء بالنظرية العلمية القائلة : ان الجاذبية قوة متسربة في كل عوالم الوجود ، تمسك الاجرام السابحة في الفضاء وتحدد مواطنها وافلاكها .

ومعتقدو الحلول الكلي ، يستطيعون ان يعبدوا كل شيء من اشياء الوجود ، حتى الحشرات !! بحجة ان الله حال فيها ، كما تعطي كل انسان صلاحية دعوى انه هو الله الخالق الجدير بالعبادة !!

محاكمة الارواح

عرف المصريون العالم الثاني ، مما اوحاه الله على رسوله ادريس ، ولقنهم اياه ، ولكنهم — ككل شعب — يدخل عليهم الكثير الكثير ، مما يضيفونه على وحي الله من تقاليد او مما يتخيلونه او يبالغون فيه . وهذا الذي وجدناه في فعل المصريين ، بالنسبة لثروة ادريس الروحية السماوية ، وجدناه في كل الشعوب بالنسبة لرسلهم .

اجل ، ما كاد يتوارى ادريس عن الانظار ، وتمر القرون والاجيال متتابعة ، حتى رأينا ادريس في نظر كهنة مصر يصبح إلها كبيراً ، وتصبح حقيقة العالم الثاني — وقد دخلتها الذيول والحواشي والتصورات المذخورة في عقول البشر — ذات الوان وصور جديدة .

اجل ، ها هم اولاء ، اخترعوا فكرة محاكمة الارواح

ليتبين مكانها في العالم الثاني فتخيلوا محكمة ، تضم اثنين واربعين قاضياً ، رئيسهم الأعلى هو ادريس نفسه . بصفته إله الآلهة ، ومسجل وقائع جلسات المحاكمة ، هو (توت) (١) على ان ادريس في زعمهم ، احتاط لامر السماء ، فجعل لها حراساً اشداء خشية فرار بعض الارواح من المحاكمة ، والتسرب اليها !! ولهذه العقيدة لدى قدماء المصريين قصص طويلة ، وشروح مكتوبة ومؤلفات غامضة ، ككتاب (الاموات) الذي اكتشف في نواويسهم ، وكل ما نراه من وثنيات على شاكلة محاكمة الارواح والقضاة المؤلهين من البشر ، ترجع بواعثه الاولى الى مصر القديمة .

عبادة ارواح الملوك

لما كانت الدنيا بيد الملوك ، ولما كان الكهنة يتملقونهم حباً في اكتسابها ونيلها ، افضى بهم التملق الى عبادتهم ؛ وقد استطاعوا إقناع الشعب المصري القديم بالوهيتهم ، فعبدوا اول الامر ـ رعاً ـ الذي هو روح الشمس ، المتأنس في العاهل ـ رعمسيس ـ ثم عبدوا ـ فتاحاً ـ الكلمة المتجسدة ومن هنا ندرك السبب الذي افضى بالشعب الى الايمان

(١) توت هو الروح الحالة في كوكب الشعرى ، وقد عبد في مصر كما عبد في فرنسا وبلاد العرب ، واطلقه قدماء المصريين على بعض ملوكهم ورسموه ووضعوه مع امواتهم تبركا .

بالعاهل (يوسترس) حين نادى بالزهيته (تحتمس) بعد وفاته بخمسة عشر قرناً ، وكانت حجة (تحتمس) في الدعوة الى تأليه (يوسترس) وعبادته ، انه كان مصدر يمن وبركة على الشعب المصري ، وانه اسبغ الخيرات والاموال على جميع الطبقات ، حتى لم يبق للطبقة الفقيرة في مصر من اثر ، كما انه احيا كل موات الارض ، فلم يبق في طول القطر المصري وعرضه ، شبر واحد خال من الزرع (١)

عبادة النوافع والمضار والجمال

ان التعليلات التي جعلها (تحتمس) حجة ايد بها عبادة روح « يوسترس » بصفته قدم خدمة ونفعاً للناس ، توسع اليها الكهنة بعد ذلك ، حتى دعوا الناس الى تقديس كل نافع لاعتقادهم ان روحاً إلهية طاهرة حلت فيه فدفعته الى النفع ، والى تقديس كل ضار ، خشية اضرار روح الشر التي حلت فيه ، والى تقديس كل جميل ووديع ، احتراماً للروح الخيرة الجميلة التي حلت فيه ، والسبب في ذلك كله ، هو اعتقادهم بان الله روح تحل هنا وهناك ، وفي هذا الجسم او ذاك حسب ما يتخيلونه ، اما الجسم وحده فلا شأن له ولا رجاء عنده . وقد استطارت هذه العقيدة وبولغ فيها حتى قدموا عبادتهم لكل نافع ، كالبقر والمياه والشجر — لا سيما شجرة

(١) راجع كتاب « سواء السبيل » في سكان وادي النيل ص ٤٣ و ٤٤ ولاجل الملكات اللواتي عبدن في مصر راجع كتاب « اشهر ملكات التاريخ » ١٨٥٥

عين شمس - وكل ضار ، كالحيات (١ ، وكل جميل كالغزلان

ومن ألطف فكاهات الوثنية المصرية ، التي وجدناها في هذا الشأن هي : ان جماعة منهم كانوا يعبدون السمك ، واخرى كانت تعبد الكلاب ، وكان بين الفريقين مشادة وتناحر ، لاجل سيادة الآلهة ! فاذا سخر عباد الكلاب بالسمك ، واكلوا سمكة ، غضب الآخرون لآلهتهم ، وذبحوا كلباً واكلوه ...

ومن الجميل ايضاً ان نرى لعباد النوافع ، فلسفة تحاول ان تشبه المنطق ، الا وهي قولهم : ان الروح الحالة في اشياء عوالم الوجود ، كالماء ! فالماء وان رأيناه من جهة آسنا متغيراً ذا رائحة كريهة ، فيه الحشرات ، الا انه لا يخرج عن كونه ماء . وكذلك الخالق العظيم ، ان حل في الاشياء الضارة كالحيوانات المفترسة ، او الحيوانات الزاحفة كالبقر او الجميلة كالفيل الابيض ، او الطبقة المختارة من البشر هو هو !! لايخرج عن كونه إلها يعبد .

ومن المضحك المخجل ، ان بعض اليونان ، دعا الى عبادة اعضاء التناسل ! وقد صفق (شوبنهور) لهذه الفكرة وايدها بقوله : (بها نستطيع ان نهزم الموت) ولا يزال الى اليوم بقية عباد اعضاء التناسل في الهند .

وهكذا ادخلت فكرة ان الله روح الدين والبلبلة ،

---

(١) عرفت عبادة الحيوانات في مصر القديمة منذ ستة وثلاثين قرنا واستمرت نحو اثنى عشر قرنا وقفى عليها « قمبز » الفارسي .

على الشعب المصري ، فانحدر من العقيدة الصحيحة التي جاهر بها سيدنا ادريس ، اي الوحدانية المطلقة من قيود الزمان والمكان الى حلول جزئي ، ثم الى القول بالطبيعتين والتجسد والتأنس والخطيئة الاصلية ، ثم الى القول بإلهي الخير والشر ثم الى الثالوث ، ثم الى حلول كلي ، ثم الى عبادة ارواح الملوك ، والارواح الحالة في الكواكب ، واخيراً الى تأليه النوافع والمضار والجمال والمياه والاشجار ... (١)

واما عبادة (الطوطم) فليست مصر بيئتها الاولى ، وان وجدت في مصر ، واما عبادة النار ففارسية ، واما الصلب فهندي اذ نرى الاله (كريستا) المعبود الهندي مصلوباً منذ ثمان وستين قرنا ، واما التناسخ ، فقد عرف في مصر منذ اليوم الذي تخيلوا فيه محكمة الارواح ، وهو انواع : نسخ وهو انتقال الروح من انسان الى انسان كريم او

---

(١) لاجل الاطلاع على تفاصيل معبودات قدماء المصريين راجع كتاب (سواء السبيل في قدماء وادي النيل) — المطبعة الاميركية في بيروت ، وكتاب (قدماء المصريين) طبع بولاق عام ١٣٠٩ هـ ج ١ وكتاب (مصر القديمة) لسليم حسن مطبعة كوثر ج ١ ص ٩٢ ، ٣٥٤ ، ٤٠٣ ، ٤٤٢ وكتاب (قدماء المصريين) للعالم الاثري الالماني « استندروف » تعريب سليم حسن ، مطبعة المعارف عام ١٩٢٣

هذه المؤلفات جميعها ، مقتصرة على بحث العقائد المصرية ، وهناك مؤلفات فيها فصول ضافية تبحث هذا الموضوع الخطير ، الذي لا تزال آثاره لدى الامم الحاضرة واضحة بينة ، واهمها كتاب (الله) للعقاد ص ٣٢ ، ٦٠ وكتاب (فتح العرب لمصر) تعريب محمد فريد ابو حديد ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٣ ، ودائرة معارف البستاني ٦ — ٣٦٠ وعلم الاجتماع الديني يوسف شلحت

حيوان سام كالاسد ، ومسخ وهو انتقالها من انسان الى حيوان منحط ، ورسخ وهو انتقالها من انسان الى نبات ، وفسخ وهو انتقالها من انسان الى المعادن الصلبة والجمادات ، وهناك فريق من التناسخيين قالوا : ان هناك وسخاً وهو انتقالها من انسان الى الحشرات المحتقرة كالذباب (١)

البيئات التي انتقل اليها مرض عبادة الارواح

محاكمة الارواح

الا ان مصر القديمة ، قد وبئت عقليتها بعد عصر رسول الله ، سيدنا إدريس ، بقرون متطاولة ، فتخيلت في اول الامر ان الخالق العظيم ، هو روح ازلية حلت في جسد ادريس ، ثم رجعت الى ما وراء الطبيعة ، بعد مغادرتها ذلك الجسد ، الذي قدسته بحلولها فيه اعواماً ، وحينئذ عقدت محكمة الارواح ، المشهورة في الاساطير المصرية وترأستها ، لمعرفتها المباشرة ، بأعمال البشر الخيرة والشريرة !! وهكذا اخذت تحاكم الاخيار والاشرار معا . ثم انتقلت هذه العقائد الوثنية المصرية ، الى الصين وسواها من الامم .

اجل ، وجدنا عدوى هذا الداء ، ماثلة ، في المحكمة الروحية الصينية ، وإن يكن من اختلاف بين مصر والصين إن هو الا في الاسماء والاعراض ! اما الداء فهـــو الداء

---

(١) راجع تفسير آية « وما من دابه في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالـــكم » في تفسير الرازي .

واما البلوى فهي البلوى

نعم ، نجد الكاتب في محكمة الارواح المصرية ، هو (توت) والكاتب في محكمة الارواح الصينية ، هو الاخ (ليو) . ثم وجدنا بعد ذلك ، نفس هذه الاسطورة ، تسربت اوباؤها الى اليونان ، ولكنهم جعلوا اسم المحاسب الاول ، هو الاله (مينوس) (١) لا ادريس ، ونحسب ان الاله مينوس ، هو (مينا) العاهل المصري ، وقد زاد عليه اليونان حرف السين حسب قواعد لغتهم .

الثنوية

وهكذا تجد الاسماء هي التي تختلف لدى الامم ، حتى ان الشخص الواحد قد تبلغ اسماؤه الاربعين ، كما نرى ذلك في جملة اسماء زرادشت وابراهيم (٢) فاسم ادريس لدى اليونان (هرمس) كما وجدناه في الآثار المكتشفة من الاغريق وجزيرة (اكريت) (٣) ، وقد انتقل مرض عبادة ادريس

---

(١) راجع مشاهد القيامة في القرآن ، للسيد قطب ، وقد يتساءل بعض القراء ، لم لا تتحدثون عن امراض اوربا القديمة ، كعبادة الانكليز للصخور وعبادة الفرنسيين للشعرى ، وعبادة الطليان للجن وتأليههم « مترا » وعبادة الالمان للارض والخنزير ... وجوابنا : اننا عقدنا العزم على اخراج كتاب خاص ، يتناول تطور عبادة الروح في الغرب ، وما عبدت كل امة من اشياء الوجود باعتبار الخالق الذي اعتقدوه روحاً حال فيه .

(٢) راجع كتاب « الحكماء » من سلسلة « اقرأ » وكتاب «دين ابراهيم»

(٣) راجع كتاب « علم الآثار » ترجمة عن الانكليزية محمود حمزة ومحمد حسن لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٦

او هرمس من اليونان لفارس والعراق ، بل نجد حتى هذا العصر ، تقديساً لاسم ادريس لدى فرقتي الصابئة – الموحدين الذين يقطنون لواء البصرة ، والثنويين الذين يسكنون شمال العراق – (١) ، ومن المؤكد انهم كانوا يقولون بنبوة ادريس ثم غالوا في حبه ، فجعلوه إلها للخير واطلقوا عليه اسم (يزدان) حين طغت عليهم عقيدة الثنوية المصرية ، وجعلوا اخاه (سيتاً) إلها للشر ، واطلقوا عليه اسم (اهرمن) كما حصل مع قدماء المصريين تماما .

وهكذا اوبأت مصر القديمة الناس بعبادة الارواح الخيرة والشريرة ، كما اوبأتهم بالاساطير المتصلة بها ، من رمل ومندل وزايرجة وتحويل معادن ...(٢) وسوى ذلك ، ولانزال الى اليوم ، نجد نسبة ذلك لادريس ، واشد الناس اتقاناً لهذه الفنون ، هم الصابئة بقسميهم .

اليزيدية

وعقيدة الثنوية هذه ، لها فروع لدى بعض الامم المعاصرة ان منها من يرى إله الشر وكيلا لاله الخير ، وليس له دخل في الخلق والايجـــاد ، كفرقة « الباتاكية » ومن هذه

---

(١) للمؤرخ العراقي المعاصر السيد عبد الرزاق الحسيني ابحاث ضافية حول الصابئة

«٢» اول من نوه بتحويل المعادن في الاسلام ، هو جابر بن حيان ، ذو الشخصية الغامضة المجهولة ، التي لم تفهم مثل الاسلام العليا ، فكانت مثاراً للشكوك راجع ، « الالحاد في الاسلام » لعبد الرحمن بدوي ج ٢ ص ١١٥ ، ١١٧ ، ٢٨٩ – ٢٩٦ ، ١٨

الامم ، فرقة اليزيدية ، المعروفة الآن في الشام والعراق ، وهي فئة من الاكراد المسلمين الشوافع ، وسبب تسميتهم بذلك ، هي المشادة القديمة ، التي كانت تستعر بين الذين يشتمون يزيداً او الشيطان ، وبين الذين يكفون السنتهم عن الشتم ، من جماعة احمد الغزالي وعدي بن مسافر الاموي ، قائلين : ما دام الله لم يفرض علينا الشتم فلماذا نشتم ! وهكذا دخل عليهم هذا المرض بسبب النكاية والعناد ، وان كان شبابهم المثقف اليوم ، واهل العلم والفطنة بينهم ، رجعوا الى روح الاسلام الصحيحة — وقد عنى بتعريفنا عنهم البحاثة المعاصر السيد عبد الرزاق الحسيني ، بعدة مقالات نشرها في العرفان وبنمع كتب تدور حولهم ، محققة مرسومة متقنة فليراجعها من اراد التوسع بشأنهم .

عبادة الملوك

سرى مرض خرافات الوثنية المصرية لامم شتى ، فرأينا داء عبادة ارواح الملوك ، يفتك في اليونان (١) وفارس (٢) والرومان ، وكان تفشيه في الرومان اشد واقوى ، لان اباطرتهم الذين عبدوا ، تحت تأثير اضطهاد الشعب وقهره وقتل احراره كثيرون . اذ كان بعض الاباطرة يتولى مركزي الروح والزمن ، ويعبد في حياته وبعد موته !!

«١» راجع تاريخ الطبري ٣ — ٥٣٨ ، وقصة الادب في العالم ص ٧٠

«٢» راجع كتاب [ايران في عهد الساسانيين] بالفرنسية ص ٤٣٩

ومن راجع تراجم — دومنيان وكركلا واغسطس (١) .. عرف مبلغ قهرهم الناس لاجل عبادتهم ، وكثيراً ما كان الشعب اذا وجد ان الاله المعبود تفاقم ظلمه ، وتجاوز الحد طغيانه ، يثور عليه فيقتله ، كما حدث للامبراطور الروماني (يوليو) المقتول عام ٤٤ ق م.(٢) ! حتى ان (نيرون) كان يتخيل ان الالوهية ، انتقلت له ايضاً ، ونعتقد أن العذاب الذي كان ينزله هو والاباطرة الذين جاؤا بعده ، باتباع سيدنا المسيح ، ليس له مبرر الا انهم كانوا يدعون الناس الى عبادة الخالق العظيم وحـــده ، جاحدين عبادة الاباطرة . وهذا شأن ماتزل بهم من (يوسف ذي نواس) الحميري اليهودي ، حين حرق المسيحيين ودمر (نجران) حتى جاءت الاشارة لذلك في القرآن المجيد (وما نقموا منهم الا ان يؤمنو بالله العزيز الحميد) .

الصلب

واما الصلب فليس له وجود في مصر القـديمة ، لان « إكريستا » الذي هو اول مصلوب في تاريخ العـالم على الاطلاق ، اي منذ ثمانية وستين قرنا ، كان هندياً باجماع المؤرخين وعلماء الآثار . وعدوى الصلب هذه انتقلت فيما بعد الى جميع الامم تقريباً ، (فكرشنة) الاله الهندي المصلوب

«١» راجع [التاريخ العام] لفيليب فان ص ٣٣٨ والمقتطف ١٠—٣٨٨ وكتاب [النظم الدستورية] ص ١١٨

[٢] دائرة معارف وجدى ٤ — ٤٤

والمولود من العذراء « ديفاكي » آمن الناس بلاهوته منذ صغره ، وقدموا له هدايا وطلب الحاكم قتله ، وتوصلاً لذلك قتل جميع الاطفال الذين ولدوا ليلة ولادته ، ودل على لاهوته نجم ظهر في السماء و « بوذا » الذي جربه الشيطان كما جرب « زرادشت » وزار الجحيم ليخلص المعذبين صلب و« متروا » الاله الفارسي صلب فداء عن خطيئة الناس الاصلية ، ولعباده حفلة يقدمون بها الخبز على شكل صليب ، وقد وجدنا عبادته في رومية قبل المسيحية (١) و (اتيس) الاله الروماني ، ابن العذراء (نانا) مولود دون ملامسة بشر ، و (ادونيس) ركب حماراً وحول الماء خمراً وولد في المذود ومات كفارة عن البشر ، و (زرادشت) ولد في المذود ومات كفارة عن المؤمنين به ... (٢)

وآخر الآلهة المصلوبين الذين اكتشفت آثارهم هو الاله (بيل) إله الاشوريين القدماء ، اذ اكتشف علماء الآثار الالمان عام ١٩٠٤ في (كاله سرجات) قاعدة الاشوريين الثانية في العراق ، لوحاً آشورياً ، نقشت فيه الآلام التي مني بها (بيل) حتى صار إلهاً معبوداً اذ سيق مكبلاً وحوكم وضرب وحكم معه شرايران ، وتزلزلت المدينة لاجله واخذت ملابسه وطعن ، فمسحت امرأة دمه ، وكانت امرأة

---

(١) راجع « الالحاد في الاسلام » ج ٢ ص ١٣ لعبد الرحمن بدوي

(٢) راجع هذا البحث مطولا في كتاب « الله » للعقاد ص ٩٥ وكتاب « العقائد الوثنية » لمحمد طاهر التنير البيروتي

باكية تبحث عنه ، ثم اسفت عليه الآلهة فأعادت له الحياة (١)

وقد دهش الفيلسوف الالماني (نيتشه) لكثرة هذه الارواح التي عبدها البشر ، والتي انقضى امر اصحابها وماتوا فقال (ان دعوة تأليه الارواح وموت اصحابها فداء عن البشر كانت تليق بالاجيال الوثنية المنحطة) (٢)

لم يفطن عبد الرحمن بدوي ، لما يقصده (نيتشه) بقوله (ان الآلهة ماتوا) فظن انه يقصد خالق الوجود ، فحشره في زمرة الملحدين ، اي المنكرين وجود الخالق (٣) والواقع ان الملحدين في اوربا واميركا ينقسمون الى قسمين قسم يريد بكلمة إله وآلهة ، الارواح التي عبدها البشر ، لاخالق الوجود المهيمن على نواميسه ، وقسم شاهد تعدد الآلهة فعمم عليه الامر ، ولم يهتد الى دليل بعقله — او اراد ان ينعم بلقب فيلسوف — فقال : الوجود إله نفسه اي ليس له خالق . وكما التبس هذا الامر على عبد الرحمن بدوي التبس على كتاب كثيرين من الغربيين انفسهم ، وقد سرى هذا الالتباس الى اعشار المتعلمين في الشرق ، فانكروا

---

(١) زيارة واحدة لمتحف الموصل تكفي لمعرفة ذلك ، ولاسلام « اللورد هدلي » المفكر الانكليزي ، صلة باكتشاف هذا اللوح الاثري الثمين .

(٢) راجع كتابه « هكذا تكلم زرادشت » تعريب « فيلكس فارس » ص ٢٤٤

(٣) راجع ، الالحاد في الاسلام ، ج ٢ ، ولم يكن « نيتشه » ينكر وجود الخالق ، ولكنه كان يتعمد بث الروح التي تشبه الالحاد ، لغايات سياسية راجع كتاب « اسرائيل بنت بريطانيا البكر » بيروت مطبعة الانصاف

وجود الخالق تقليدا !! غير مفرقين بين من ينكر الآلهة المتخذة من الارواح مع ايمانه بخالق الوجود ، ومن ينكر خالق الوجود الذي تدل عليه طبيعة الوجود نفسه .

وقد جوزيت مصر القديمة ، بالمثل فكما اوبأت الامم بكثير من خرافاتها ، اصيبت هي ايضاً بعدوى فكرة الصلب ، فقد ذكر صاحب دائرة معارف البستاني (١) ان الروم حين تنصروا في القرن الرابع للميلاد ، وطفقوا يضطهدون الوثنية ويصادرون معابدها ويحولونها الى كنائس في جميع انحاء ممتلكاتهم ، وجدوا في اكبر هياكل الوثنية — هيكل سرابيس — في مدينة الاسكندرية ، وجدوا صليباً ضخماً مقدساً ومعبوداً لديهم ، تحمله الآلهة في يدها إشارة إلى صلبها — وقد قال البستاني — إنه يشبه حرف التاء اللاتيني (T)

التناسخ

واما تناسخ الارواح ، فقد ذكر « هيرودتس » ان بيئته الاولى مصر ، ونحن لا ننكر انه نما في الهند وترعرع وتشعب ، شأنها في كثير من الاساطير ، ولكن ليست الهند بيئته الاولى ، كما قال البحاثة الاثري الالماني « استندروف »

نعم توسع فيه الكهنة الهنود بعد ذلك ، واعطوه صورا جديدة توائم بيئتهم ، حتى قالوا : إن برهمة — اي الله الاقنوم الاول لثالوثهم المقدس — خلق كمية قليلة من الارواح ونقصه منها شيء كثير ، فحين اراد ان يخلق ، ما استطاع

(١) راجع في دائرة معارف البستاني مادة « صلب »

لهول خلق الارواح ، ذلك لانها — في زعمهم — تؤخذ من ذاته — تعالى — مباشرة ! لذلك اضطر ان يفرض تبادل الارواح ، وانتقالها من جسد إلى جسد ، حتى قال بعضهم لو استمر الخالق يعطي من نفسه ، لكل مخلوق روحاً ، لتلاشى في مخلوقاته وفقد ، بل رأى بعضهم ان ذاته — تعالى — تقسمت في مخلوقاته وتلاشت ، وهذه اول نزعة الحادية في العالم تنكر وجود الله ، وتزعمه ذاب في خلقه ، كلياً ! ! !

اجل كانت هذه الدعوة القائلة : إن الروح الكلي الخالقة ذابت في مخلوقاتها ، ولم يبق منها شيء اول دهرية في العالم انتقلت من الهند الى فارس فجزيرة العرب وسواها .

لقد تغلغلت عقيدة التناسخ في الهند ، مخترعة صوراً جميلة جذابة لتركز نفسها ، شأن الاساطير كلها ، فترى الجدة العجوز ، او الوالد الفاني ، او الثكلى الحزينة ، تلقي كلمة عابرة ، عن غير تصميم ، فتولد فكرة في نفس الطفل ، كأن تقول : هذا الولد يشبه ولدي المرحوم ، بل انه هو فيتمسك الطفل بهذا الايحاء ، ويكون عين المرحوم ، اذا صادف ان اتفقت المناسبات والمشابهات وكثيراً ما تتفق .

اجل ، يحفظ الطفل هذه الكلمات ويقول : نعم هو انا ويردد ما يسمعه ، ويسره ما يرى حوله ، من احترام الناس له واجتماعهم عليه ، ويجيب على اسئلتهم ، حتى قيل تبع مرة جمل كاهنة هندية تحمل برسيماً ، فبكت وقالت لصاحبه ، متى ولد هذا ؟ فذكر لها اليوم والساعة فانحنت

تقبل الحمل وتبكي قائلة : هذا هو — ديفاس — ابن اختي المرحومة ، الذي ربيته انا ومات غريقاً (١) واخذ الحمل الجائع يلتهم البرسيم ويتمسح بها طبعا !! .

واطرف قصة في هذا الشأن ، قصة الحمير التي كانت تنقل التراب لترميم مدرسة — نيسابور — الطبية ، في منتصف القرن الرابع للهجرة ، وخلاصتها ان حماراً وقف امام باب المدرسة ، مجهوداً مطرقاً ، كأنه يفكر في امر عظيم ، فشاهده بعض التناسخيين ، فخيلت له عقيدته هذه الاسطورة الجميلة ، اذ قال للذين حوله :

اتدرون بما يفكر الحمـــار ؟

فابتسموا وقالوا : لا

فاغتنم فرصة اصغائهم وقال :

يفكر في ايامه الجميلة التي قضاها هنا يعلمنا فيها فن الطب !!

وهكذا نجد التناسخ ، قد انتشر لدى امم كثيرة ، وتطور حتى لبس ثوب الحلول والرجعة ، فما دام الخالق العظيم نفسه — في زعمهم — هو روحاً يحل ، فلأي شيء لاتحـــل بقية الارواح في اجساد اخرى ؟ مادامت الروح ازلية وهي من ذات الله مباشرة ، اي هي جزء منه ، لها من صفاته ماله

(١) ان السؤال عن اليوم والساعة خطـــأ لدى الذين اخترعوا فكرة التناسخ ، اذ وراء انتقال الروح ، محكمة تنظر في شأنها ، وقد تمتد المحاكمة اياماً او اعواماً ، فليس من المعقول — لديهم — ان تخرج الروح من هنا وتحل هنالك بيوم واحد وساعة واحدة ، الا اذا قالوا : ان محكمة الارواح وراء مجرى الزمن !

حتى ان هذه الفكرة ، استطاعت ان تدخل على بعض فلاسفة اليونان ، كفيثاغورس وافلاطون ، وقد اكد افلاطون في جمهوريته ، ان السعادة متوقفة على الايمان بالله والايمان بخلود الروح . ولكن خلود الروح بناه على التناسخ ، اذ يراه خير وسيلة لتهذيب المجرمين . وانحدر هذا الرأي الى الفلاسفة الرواقيين ، حتى ان « ابيقور » انفرد بالدعوة اليه ووصل الى فارس ، وقامت حوله مذاهب ظلت آخذة الوانـــاً مختلفة حتى بعد الاسلام ومن هنا كنت تسمع المؤرخين يذكرون امثال — محمد بن علي الشلمغاني وابن ابي عون وابا سعيد الجنابي — وغيرهم ممن يزعمون ان روح فلان حلت بهم ، وان روح جبريل تتكلم بلسانهم (١) ومن الفلاسفة الذين يدينون بالحلول العام ، اي يرون الله روحـاً كلياً ، هو عين مخلوقاته ، الفيلسوف باروخ سبينوزا ١٦٣٢ - ١٦٢٧ البرتغالي اليهودي .

ونظرية الوثنيين القدماء الذين يعتقدون ان الله روح ازلية كلية عاقلة ، حالة في كل شيء في الوجود ، هي غير نظرية الفلاسفة الوجديين الذين يقولون : ان الانسان هو الله !! وان كانت كلتا النظريتين منبثقتين في جملتها عن المذاهب المصرية والهندية القديمـــة ، الا ان الاولى ايمانية تثبت وجود الخالق ، ولكنها تراه روحاً عاقلة ، حالة في كل شيء

(١) راجـع شذرات الذهب ٢ — ٢٩٣ و ٣٥٨ وكتاب « المتألهين والمتنبئين » لوجيه فارس كيلاني ، مصر المطبعة العربية ١٣٤٢ — ١٩٣٣

من اشياء الوجود المادي والمعنوي ، والثانية إلحادية ، ترى ان في كل شيء من اشياء الوجود قوة صماء غير عاقلة ولا تدري ما ينتج عنها ، وهي حالة في ذلك الشيء تسيره !! والقوة العاقلة المدركة منحصرة في الانسان وحده ، لذلك ان كان ثمة خالق مهيمن — بزعمهم — كان هو — اي الانسان — الخالق المهيمن !! ذلك لانهم شاهدوا الانسان عاقلاً واعياً مدركاً ، ولم يشاهدوا سواه كذلك في زعمهم ، فاعتقدوه عقل الطبيعة المدرك ، واعلنوا ان كل المعتقدات (الميتافيزيقية) هي منبثقة من خيال الانسان وحده ، ومن هنا يقولون : ان نفس الانسان هي الرب . ومن عرف نفسه عرف ربه وزعيم الوجوديين الغربيين اليوم ، هو (سارتر) الفرنسي

واما الدهرية الهندية القديمة ، فقد رد عليها المصلح الشيخ جمال الدين الافغاني ، في رسالته المسطورة باللغة الفارسية التي عربها تلميذه الشيخ محمد عبده — الاستاذ الامام — وهي اشبه شيء بمذهب الطبيعيين الماديين اليوم . الذين يعتقدون بالقوى الكامنة في الوجود ، كالجاذبية والاثير والكهرباء والمغناطيس ، والقوى الكامنة في الذرات ، الا ان الدهريين القدماء اعتقدوها قوة روحية عاقلة تقسمت في مخلوقاتها ، وذابت فيها . وهؤلاء يرونها قوة معنوية غير عاقلة ، وتنظيمها جار بناموس الطبيعة والاستمرار .

ونحن نعتقد ان الذي جعل زعيم الفلاسفة الوجوديين ، ينكر ان للكون خالقاً ، ويتعلل بالنفس الانسانية زاعماً

انها كل شيء ، هي عقيدة ان الله روح عامة شاملة — كما اعلن سبينوزا ذلك في رسائله — لان — سارتر — بحث عالم القوة المادية والمعنوية في اشياء الطبيعة ، فوجدها غير عاقلة ، تسيرها الصدف والاتفاقات ، تسييراً آلياً بحتاً ، والقوى غير العاقلة يستحيل ان تكون خالقة لهذه العوالم ، لذلك حصر — سارتر — فكرة الخالقية في الانسان وحده !! ولو صادفته الحظوظ ، واجتمع بأحد فلاسفة المسلمين ، وتلا عليه آية واحدة من القرآن الكريم ، كآية النبات مثلاً ؛ وهي قوله تعالى « وفي الارض قطع متجاورات ، وجنات من اعناب وزرع ونخيل ، صنوان وغير صنوان ، يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » (١) وافهموه ان القوة العاقلة في الانسان ، ليست هي بأسمى قدرة وصنعة وابداعا ، من القوة الكامنة في عالم النبات ، لسجد للخالق العظيم ، وبشر بالقرآن الكريم اذ لا يخفى انه لو جتمع البشر لما استطاعوا ان يصنعوا من التراب والهواء والماء وعناصر الشمس ، ما تصنعه فسيلة البلح او بذرة البطيخ او حبة الحنطة

وحينئذ يدرك « سارتر » ومقلديه من قردة الشرق الذين يرددون كلماته كالببغاوات ان خالق الوجود اجل واعظم من ان يكون القوة الكامنة في الانسان مهما كانت

(١) سورة الرعد ٤

عاقلة ، لان في الوجود اشياء كثيرة ، من المخلوقات ، والعوالم التي لا يزال عقل الانسان ولن يزال يحوم حول شواطيء رمالها .

على ان عقيدة الوحي الالهي هي المثل الاعلى ، وليس تحت المثل الاعلى الا عبادة المخلوقات ، وليس وراءها الا الالحاد الصرف ، ونكران وجود الخالق العظيم ، وتأليه الغرور الانساني المحدود !! اذن فالحقيقة دائماً وابداً لاتكون الا وسطاً بين شيئين .

الرجعـــة

واما الرجعة ، وهي فرع من التناسخ ، لان عودة الروح في الدنيا لابسة جسداً آخر ، هي رجعة وهي تناسخ ، الا ان الرجعة يرونها كالبعث ، أي لا ترجع الروح الا في جسدها بالذات ، وقد ذكر العلامة الشهرستاني (١) الاسباب التي اوجدت الرجعة في العالم ، ومجملها ان احبار اليهود ، الذين يتشوقون لمشاهدة ملك اسرائيل واقتربوا من الموت ، يتخيلون انهم سيعودون باجسادهم ، ويشاهدون ملك اسرائيل ، وهم اوفر شبابا واتم نشاطا ، وقد انتقل هذا المرض الى بعض المسلمين بواسطة اليهود الذين اعتنقوا الاسلام ، حتى ان الجاحظ ذكر - على سبيل التهكم كعادته - انه شاهد حجاماً في البصرة ، يؤمن بالرجعة القريبة ، ويحجم كثيراً من الناس ويؤجل اخذ اجرته الى الرجعة ! والناس يتكاثرون حوله .

(١) ٢ = ٤٣

ومنهم الجاحظ طبعا !!

واما الظن بان حمزة بن علي الزوزني (١) كان يقرر مبدأ التناسخ والرجعة ، في محاضراته التي كان يلقيها على تلاميذه ، في الازهر ودار الحكمة ، فخطأ وقول ليس له مرجع ؛ وقد ذكر البحاثة مصطفى آل عيال ان المستشرق الايطالي « سانتيانا » كان ينكر هذه الرواية ويقول : هي من وضع الفرقة السكينية (٢) التي كانت تدار بيد العباسيين الذين ينافسون الفاطميين السيادة على قطر الشام اذ ذاك(٣) ملصقين بهم الاساطير المنفرة توصلا لاعراض الناس عنهم ، وللحط من كرامتهم المرموقة ، لعريق نسبهم النبوي المطهر .

ولعله التبس على بعض الكاتبين بين رجعة الصفات الجسدية كالسواد والبياض او الطول والقصر ، وبين رجعة الروح لان حمزة بن علي ، كان يقرر رجعة الصفات الجسدية ، وانتقالها من السابقين الى اللاحقين وهذه مسألة علمية جسدية ثابتة ، وتسمى طبا (العودة الى الاصل) اذ قد يأتي الوليد الاسود من الابوين الابيضين ، وقد يكون في اجداده من كان هذا لونه ، قبل سبعة اجيال او إحدى عشر جيلا (٤)

---

(١) و (٢) راجع كتاب « اصل الاسلام وفروعه » و « الاسلام والمسيحية في لبنان » مطبعة الانصاف — بيروت

(٣) راجع محاضرة مصطفى آل عيال « الدروز في التاريخ »

(٤) راجع كتاب (فلسفة الطب) للدكتور احمد حسني سبح .

والتناسخ والرجعة ، لم يدخلا جزيرة العرب في الجاهلية اذ كان العرب يرون للارواح الخبيثة نسباً متصلاً بعالم الابالسة والشياطين ، ولذا عبدوا الملائكة والجن ، ولم يفت بعضهم عبادة الكواكب والبقر والنار (١) على ان مرض الرجعة عريق في القدم ، فقد كان لدى المصريين القدماء والصينيين والهنود ، وقد كان القدماء الذين يعتقدون بالرجعة انما يعتقدونها ، لان ارواح اصحابها ارواح آلهية ، من اجل ذلك قالوا برجعة ادريس لانه آله ! الا ان البراهمة والبوذيين يقولون برجعة الروح الاتية المعبودة ؛ ولكن يعطونها الحرية فهي ترجع في الصورة التي تريدها ، من انسان او حيوان ، حتى قالوا : ان بوذا رجع الى الارض اربعين مرة اغلبها في ثوب سمكة ، يرى على شاطيء البحر .

عبادة الشجر (٢)

واما عبادة الشجر فقد انتقلت من مصر فانتشرت في الهند وفيتيش افريقيا ونظراً لجدب جزيرة العرب ، فقد اخذت عبادة الشجر من انفسهم مكاناً مرموقاً ولعل السبب الذي حدا بالخليفة الثاني ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الى قطع شجرة بيعة الرضوان ، هو ما كان معروفاً من

---

(١) لاجل اعتقاد العرب وغيرهم في تأثير الجن ، راجع بلوغ الارب ٢ ٢١٦ والمقتبس السنة الخامسة ٤٤١ و ٤٤٨ وتفسير المنار ٧ — ٦٤٨ وكتاب (الله) للعقاد ص ٣٢ ودائرة معارف البستاني ٦ — ٥٥٣ و ٦٥٣

(٢) راجع بلوغ الادب ٢ = ٣١٦ الى ٤٠٨ و ٣ = ٢ الى ٨٦ وتفسير المنار ٩ = ١١٠

عبادة بعض الاشجار لديهم ، كالسلع والعشر وذات انواط قطعها خشية انتكاس الداء .

وقد ذكر علماء لاهوت عبادة الشجر(١) في تعليل عبادتهم ان بذور النبات مثلاً ، لو لم تكن فيها روح قادرة مريدة قوية ، لما استطاعت ان تستخرج من التراب والماء والهواء وذرات الشمس والقمر ، كل تلك الالوان والاشكال والطعوم والروائح والثمار والاغذية ، التي هي قوام الحياة الانسانية والحيوانية وانّى تستطيع ايجاد تلك الخصائص المختلفة ، ومن اين لها ان تفعل هذا كله ، لو لم يكن الله حالاً فيها ؟؟!

عبادة المياه

انتقلت عبادة المياه من مصر القديمة ، إلى كثير من المواطن في الشام والهند وسواحل قزوين ؛ ويذكر صاحب بلوغ الارب (٢) ان عابد الماء ، يخلع ثيابه ويلقي نفسه فيه خاشعاً ذاكراً نحو ساعتين ، وفي يده باقة من الورد فإذا هم بالخروج اسلم باقته ليد الروح المعبود الحالة في الماء معتقداً انها تتناولها منه ! وهذا ما يفعله الى اليوم ثنوية العراق المعروفون « بالمغتسلة » ، وقد افاض في ذكر لاهوتهم ، المؤرخ العراقي

---

(١) لكل نوع من العبادة لاهوت واسع ، وعلماء يقررونه ويناقشونه ، وقد جمعت دائرة المعارف الصينية البوذية ، المؤلفة من سبعماية مجلد ، كل بحوث اللاهوتيين . !

(٢) ٢ — ٢٣٥ ، وكتاب « قدماء المصريين » طبع بولاق ج ١ ص ١٤٥ ، ودائرة معارف البستاني ٥ — ٣٢

المعاصرا ، العلامة المحقق ، السيد عبد الرزاق الحسيني .

والذي افضى بقدماء المصريين ، وبعض فلاسفة اليونان امثال (طاليس) — القرن السابع ق م — إلى تقديس الماء هو انهم وجدوه يدخل بطريقة فعالة في كل اشياء الوجود وان يكن من اختلاف ، ان هو الا في الشكل والكمية ، ولدى الهند إلى اليوم ، حوض الماء المعبود في (بنارس) والمسبح المقدس في مدينة « هاردوارد »

الثالوث

واما عبادة الثالوث ، فقد انتقلت عدواها من مصر القديمة الى امم كثيرة ومواطن مختلفة ، فقد رأيناها لدى البراهمة ماثلة في الآلهة الثلاث « برهمة وسيفا وفشنو » ورأينا قدماء السريان ، يرسمون في هياكلهم « افلاطون » في صحراء ، وقد اهداه تفكيره الى الثالوث (١) ورأينا لقدماء الصيدونيين والجبيليين ثالوثاً مؤلفاً من « ادونيس وملكرت وعشتاروت » ولقدماء الاشوريين ثالوثاً مؤلفاً من « الشمس والقمر والهواء »(٢) ولقدماء فارس ، ثالوثاً مؤلفاً من « ارموزد واهرمن ومترا » ويراه اليونان — كعادتهم في النظر الى الامور بصورة اعمق — فلسفياً مكونا من « المادة والقوة والادراك » اذ هي ثلاثة شروط ، ضرورية للتكوين .

وقد اكتشف الاثريون الاوربيون حديثاً في شمال فارس

(١) راجع كتاب « تاريخ الفلسفة في الاسلام » للاستاذ ج دي بور ، تعريب محمد عبد الهادي ابو ريده (٢) راجع خطط الشام ٦ — ٢١٣

ثالوثاً مؤلفاً من « اندرا ومترا وفاروتا » والذي نعتقده انه وافاهم من الهند (١) وقدماء الاوروبيين والرومان ، كان الثالوث بينهم معروفاً منذ اجيال سحيقة (٢) .

وقد بالغ بعض المثلثين المصريين ، فجعلوا ثالوثهم خاموساً ثم سابوعاً ثم تاسوعاً ، وانتقل هذا المرض الى غيرهم ولكن لم نرَ له بقية للآن الا في الهند ، اذ يرسمون « سيفا » — وهو الاقنوم الثاني لثالوثهم المقدس — باربعة ايد وخمسة رؤوس ، اشارة الى التاسوع . وقد استوفى هذا البحث في كتاب « دين ابراهيم »

والخلاصة ، ان الايمان بوجود الخالق العظيم لهذا الوجود لم تجحده امة من الامم ، وانما الذي كان هو انحرافهم عن الطريق السوي ، الذي هداهم اليه رسل الله ، انحرفوا به الى وثنية عبادة الروح ، وهذا الاعتقاد فتح عليهم ابواباً كبيرة من عبادة المخلوقات ، وافضى بهم إلى عبادة اشياء كثيرة من اشياء الوجود ، وان كانوا هم يحسبون انهم يعبدون الروح المتخيلة انها الخالق العظيم الحالّة في ما يعبدون ، يحسبونها انها هي هو ، والا لرأوا انفسهم ، اكبر من ان يخشعوا ويخضعوا ويذلوا ضارعين متوسلين ، امام انسان او حيوان او نبات او جماد ، مهما كان شأنها .

---

(١) دائرة معارف وجدي ٩ — ٧٢٥ — ٧٥٨

(٢) راجع كتاب « سكان اوربا القدماء » للعلامة دوان .

نعم هم يعبدون تلك الروح المتخيلة انها الخالق العظيم ما دامت حالة في ما يعبدون ، فإذا انفصلت عنه ، تركوه وعبدوا سواه ممن يعتقدون ان تلك الروح حلت فيه .

خذ مثلاً . بوذي الصين الآن فهم يعبدون كاهن كهنتهم المعروف « بالدالاي لامـــا » ولكنه إذا مات لا يستمرون على عبادته ، بل ينصبون سواه ولو كان طفلاً ، ويخيلون للشعب انهم فعلوا ذلك بإرشاد الآلهة باعتبار ان الله حل فيه فعلاً ، وحينئذ يستأنفون عبادته ، كما كان يفعل قدمـــاء المصريين حين يموت العجل المعبود .

اما الفرقة الثانية فهي التي تعتبر الخالق العظيم روحاً محضة اذا انفصلت ممن حلت فيه انطلقت في ابعاد الفضاء ، وظلت تعبد من وراء وراء كعباد (لاوتسو) الذي عُبد في حياته ولا يزال يُعبد الى اليوم ، باعتبار ان الروح الآلهية التي حلت فيه ، لم تحل في سواه حتى تترك عبادته وهؤلاء لا يستطيعون ان يعترفوا بألوهية سواه ابدا وحينئذ يكون حلول الخالق في خلقه ، لم يكن الا مرة واحدة ، وهؤلاء قد ينصبون احيانا لتلك الروح التي حلت في جسم من يعبدونه بعض التماثيل ، ولكن هذه التماثيل لا تعبد كما ظن بعض الناقدين الاوروبيين ، وانما يتبرك بها بحلول الاله المعبود وكالبراهمة الذين كانوا يعبدون (برهمة وسيفا وفشنو) في حياتهم ، لتخيلهم ان الروح المعبودة لهم حالة فيهم ، فلما ماتوا اعتبروها منطلقة في ابعاد الفضاء فعبدوها ، وخوفاً على

اجساد برهمة وسيفا وفشنو ان تحرم من القداسة ، جعلوا لها تماثيل وخصوها بقسط وافر من الاحترام والضراعة والابتهال وان غالت بعض فرقهم فظنت ان تلك الروح المعبودة لهم تعود سيرتها الاولى ، وتحل في التماثيل احيانا .

على ان بعض كبار كهنة البراهمة والبوذيين ، يرون عصمة انفسهم ، فيغالون في ذلك ، حتى يدعوا انهم امسوا محلًا لحلول الله فيهم لانهم نواب برهمة وبوذا على الارض .

وانا نجعل ختام هذا الفصل الكلمة النبوية التي رواها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال :

جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : علمني من غرائب العلم ، قال : وما صنعت في رأس العلم حتى تسأل عن غرائبه ؟ قال : وما رأس العلم ؟ قال : معرفة الله حق معرفته ؟ قال وما معرفة الله حق معرفته قال : ان تعرفه بلا مثل ولا ند واحداً احداً ، ظاهراً باطناً . اولاً آخراً لا كفؤ له ، فذلك معرفة الله حق معرفته . ان الله لا يعرف بالامثال ، ولا بالاشباه ، إنما يعرف بالدلائل والاعلام ، الشاهدة على ربوبيته النافية عنه آثار صنعته » (١)

---

(١) راجع كتاب « الدرر واللآل » للشيخ محمد علي الانسي . ص ٦٩

نتائج مرض عقيدة ان الله روح

فهمنا ان عقيدة ان الله روح ، اكثرت بين الافراد والجماعات الآلهة المعبودة ، وافسحت المجال لكل من يدلي له ادعاء الالوهية ، بل نزلت بمقام الالوهية ، حتى ادخلت في جملة الآلهة الاحجار والابقار بل والحشرات ... ولو رحنا نستقصي الاسباب ، لوجدناها ترجع الى شيء واحد ، هو عقيدة ان الله روح .

ان اول مشادة في التاريخ ، وقعت من جراء عبادة الارواح ، هي المشادة التي شطرت الشعب المصري الى شطرين ، الوجه القبلي والوجه البحري ، هؤلاء يؤلهون قسماً من الارواح ، واولئك يؤلهون سواها . وجرت هذه المشادة الى حروب وانقسامات ، لايزال التاريخ المصري القديم غاصاً بها ، وقد تحقق بعض القراعنة ، بطلان تأليه الارواح ، التي جعلت بأس المصريين بينهم شديدا ، فاعلن ان العبادة يجب ان تقدم للخالق العظيم وحده ، فراراً من عبادة المخلوقات ، ورغبة في جمع الكلمة وتضميد الجراح .

وكما وجدنا الخصومة في مصر ، تقوم على اساس عبادة الارواح ، وجدناها في اليونان بصورة اشد واهول ، فقد تدخل الآلهة من الارواح في حروب طروادة حوالي ثلاثة قرون يوغرون الصدور ويخذلون وينصرون ويثيرون ماشاء لهم هواهم ، ومن قرأ الاساطير التي نظمها « هوميروس في

الياذته » حول تلك الملاحم التي شاهد بعضها ، فهم الكثير الكثير من اضرار عبادة الارواح على ان الشعراء والفلاسفة اليونان امثال « هزيود واكز نوفنس وستراط » قد ادركوا بطلان تلك الآلهة المزعومة انها من الارواح ، وعرفوا انها خيال ولكن الشعب ابى عليهم الازعان وناهضهم مناهضة عنيفة ادت الى الحكم باعدام سقراط !!

وقد قضى النعدد هذا على دولتي « بابل واشور » العربيتين (١) واذا نظرنا الى الملاحم التي كانت تحتدم بين صيدا وجبيل مثلاً لانجد لها مبرراً سوى الشجار لاجل سيادة الآلهة من الارواح ! وقل مثل ذلك في الحروب التي وقعت في الهند والصين واوربا القديمة ، حتى ان اليهود حين دخلتهم عبادة الارواح ، واقاموا لها السواري والمرتفعات تاركين ماجاءهم به سيدنا موسى من عبادة الله وحده ، استعرت بينهم الحروب ، من القرن العاشر قبل الميلاد ، الى القرن الثاني قبله (٢) .

مهمة الانبياء

جاء المسيح برسالة سامية ، تشتمل على التسامح والتساهل والمحبة والرفق ، شأن رسالات الله لرسله جميعاً ، فحملها تلاميذه الاطهار لعالم وثني غليظ الكبد لا يعرف من امر السماء

---

(١) لاجل عروبة هاتين الدولتين ، راجع كتاب « الاسلام والمسيحية في لبنان » مطبعة الانصاف — بيروت .

(٢) راجع تاريخ (بوسيفوس) والاسفار التاريخية من العهد القديم

والروح والتسامح شيئاً ، ووجدوا من الوثنيين عنتاً وقهراً ومن اليهود حسداً وتجسساً ، وقد تظـــافرت على هؤلاء التلاميذ واتباعهم ايدي المضطهدين من الرومان والمجوس واليهود ، طيلة ثلاثة قرون ختمت باعتناق قسطنطين المسيحية بسبب تأثير والدته هيلانة وتوجيهها ، فشرع يرد عـاديات الوثنية واضطهادها باضطهاد مثله ويرغمهم على اعتناق المسيحية بالسيف والنار ، ويحول معابدهم كنائس ، ويعاقب دون هوادة كل من اصر على وثنيته ، وقد سار على منهاجه هذا جميع قياصرة المسيحية الذين جاؤا بعده — ما خلا يوليان الملقب بالجاحد . —

وما كاد يتم دك المعالم الوثنية ، وتغلق مدارسها ابتداء من عام ٣٢٥م وتحول معابدها الى كنائس ، ويتم اطفاء شعلة (اثينا) الفلسفية ، حتى نجم مذاهب متعددة ، وفرق مختلفة كاليعاقبة والنساطرة والاريوسيين ... ، ولكن ضيق عطن رجـال الدولة البيزنطية وقرب عهدهم بتشدد الوثنية ، وعدم تذوقهم روح سيدنا المسيح ، الوديعة المتسامحة ، الـــتي تشفق على الغريب والقريب ، والمشايع والمخالف ، جعلهم لا يحتملون ان يشاهدوا جماعة منهم او من سواهم ، لا تدين بما يدينون به ، وهذا الذي ادى بالدولة البيزنطية ، الى البطش والفتك بالفرق المباينة لها في كل انحاء الامبراطورية وكانت اشد الضربات موجهة للاريوسيين والنساطرة واليعاقبة ، ، وما زال الامر كذلك حتى انبثق نور الاسلام ونزل الوحي داعيا الى الحرية

والمساواة والتكرمة للجميع ، بل فرض على الامم الانسانية جمعاء ، افراداً وجماعات ، ان يعيشوا اخوة متفاهمين متسامحين احراراً في عقائدهم ونحلهم ، فرضها عليهم في هذه النصوص القطعية الصريحة « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » (١) « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » (٢) « لكل امة جعلنا منسكاً هم ناسكوه » (٣) « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » (٤)

اجل ، رأى رجال الدولة البيزنطية ، الذين درجوا على تقليد البطش ، وعدم احتمال المذاهب المغايرة لمذهبهم — وان كانت منسوبة للانجيل — من العسير عليهم ان يحتملوا الاسلام الذي هو دين اوحاه الله ، كدين سيدنا المسيح ، ولم يدرسوه ويقارنوه بما بين ايديهم ، ليفهموا حقيقة الامر ، بل ناهضوه شأن سواه ، ولم يتمكن علماء رجال الدين ، من التعمق في دراسة ادلة الاسلام الواضحة البينة ، التي تثبت صدق الرسالة وحقيقة الوحي ، لان موقف الدولة البيزنطية من مذاهبها المختلفة ، وتخيلها ان الاسلام جاء يبني مجداً للعرب وحدهم (١) حال

---

(١) الحجرات ١٣ «٢» المائدة ٥١ «٣» الحج ٦٧ «٤» البقرة ٢٥٦

«١» الواقع ان الاسلام ، جاء يبني دولة انسانية ، تقرر المثل العليا ، وكل امة آمنت به وتأدبت بآدابه ، بنى لها دولة وطيدة الاركان ، ترفع رايتها الدائمة

بينهم وبين ذلك ، ولو فعلوا لوجدوا بين ايديهم مجموعة رفيعة من الحجج القاطعة ، تجعلهم يطمأنون بأن القرآن هو وحي الله .

على ان ادلة رسالة سيدنا المسيح ، هي الخوارق التي تناقلها الاتباع ، ولم يشاهدها الا هم ، وهي وان كانت حقا وصدقا ، الا ان الخوارق التي نقلت عن « بوذا » بواسطة اتباعه تضارعها ان لم نقل : انها تربو عليها . حتى تناقلوا عنه ، انه مادخل معبداً للاوثان ، الا وتساقطت من نفسها رهبة وخشية . وقد نقل عجائبه (١) منذ خمسة وعشرين قرنا ، جماعات تعد بالملايين ، وكان مبشروهم يهبطون حتى قطر الشام ينادون باسمه ، وعدد اتباعه اليوم يفوق عدد المسلمين والمسيحيين ، ومعابدهم تعد اعظم معابد الارض واديرتهم اوسع ، حتى ان ناقوس معبد عاصمتهم الدينية (لهاسا) ، ينوف وزنه على ثمانية قناطير . وقل مثل ذلك في العجائب المروية عن برهمة وكونفوشيوس وزرادشت ولاوتسو ... فالتصديق بعجائب سيدنا المسيح وحدها وتكذيب سواها ،

على القلوب ، سواء كانت عربية او تركية او فرنسية او انكليزية او اميركية راجع كتاب « الاسلام بين السنة والشيعة » ج ١

«١» من اراد التوسعة في معرفة خوارق « بوذا » فليراجع .

Petit Histoire des Grandes Relijians .

مختصر تاريخ الاديان الكبرى

Imp . Preses Universitaitaiser de France - 1947

المطبعة الجامعة في باريس ١٩٤٧

ليس له مبرر علمي ، مادام طريق إثبات الجميع واحداً ، وهو رواية الاجيال بعضها عن بعض ، سواء كان مأخذها في اول الامر ، عن طريق الافراد الذين اذاعوا انهم شاهدوا تلك العجائب التي يروونها ، او عن طريق الجماعات .

ولولا الايمان التقليدي والتربية الخاصة ، ونشأة الوارثات لتساوى الجميع ، في نظر المنتسبين الى الاديان التي ترتكز على الخوارق ، كلهم متساوون في نظر العلم ، ولاصبح تفضيل رسالة كل اعتمادها على الخوارق المروية ، على اخرى مثلها يعتبر من قبيل رفض الواقع العلمي ، وعدم الانفلات من سجن التقليد والموروثات والاصل على تأييد الجهل مع ظهور العلم .

وهذا كله خلاف رسالة خاتم الانبياء والرسل ، سيدنا محمـــد صلى الله عليه وآله وسلم ، التي ثبتت بالادلة العلمية القطعية ، الواضحة المشاهدة الى اليوم ، الا وهي القرآن المجيد المعجز في شتى ابحاثه ، المشتملة على معجزات علمية قطعية ، تدل على انه من الله ، حتى قال احد المستشرقين : « لو وجدت جماعة من العلماء الاحرار الباحثين هذا القرآن ملقى في صحراء ، وليس هنالك من يلتف حوله واوسعته درساً وبحثا وتمحيصاً ، لاعتقدت انه من خالق الوجود ، بدون ريب والتففت حوله !! »

وكون الاديان السابقة على الاسلام ، لم يجعل لها الله معجزة ابدية مشاهدة محسوسة ، قابلة للدراسة والنظر التجريبي المحض المقارن ، لا ينقص من قدرها شيئاً ؛ لانه سبحانه وتعالى

كان يتابع ارسال الرسل المبشرين بالاديان رسولا خلف رسول ، حسب مقتضيات التطورات الانسانية ، حتى وصلت الى النهاية التي اقتضت ارسال خاتم الرسل ، فكان من الضروري ان تجعل خارقته الكبرى ، التي ترتكز عليها دعوته الى الايمان الصحيح بالله ، علمية ملموسة مشاهدة ، قابلة للدرس والنظر والتحقيق والتمحيص ، في كل عصر وزمان ، حتى يكون اثبات الدعوة قائماً بكل حججه وبيناته وادلته القطعية لكل الامم في كل العصور ، ذلك لانه خاتم الاديان السماوية الذي لا دين بعده ولا رسالة ، ومن اجل ذلك تجد النداء بطلب الايمان موجها الى الناس جميعاً : « يا ايها الناس ، إني رسول الله اليكم جميعا ، الذي له ملك السموات والارض لا إله الا هو يحي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون) (١)

على ان الدعوة ، وان كانت موجهة الى الانسانية جمعاء الا ان الاختيار مفروض في صميمها ، ذلك لان الانسانية الرفيعة ، التي تتمثل في مثلها العليا ، من اصول مبادئها ، هذه الحرية الاعتقادية ، التي تجعل الناس يميزون بين حقائق الاشياء بالدرس والنظر والتفكير الحر والمنطق .

لذلك كان من الواجب الديني الحتم تبليغ الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويؤكد لنا هذا قوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين » (٢)

«١» الاعراف ١٥٨ «٢» الاعراف ١٩٧

حتى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حين نزلت عليه هذه الآية ، سأل روح القدس ، جبريل عليه السلام ، عن مضمونها ، فاجابه بالهدف المقصود ، من دعوة الايمان قائلا : « ان تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتعطي من حرمك » ما كان محمد ابا احد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليما » (١) « قل يا ايها الناس إن كنتم في شك من ديني ، فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم ، وامرت ان اكون من المؤمنين » (٢)

الا ، ان الواجب الديني الذي يفرضه الله فرضاً على اهل الاديان ، قبل الواجب العلمي والمنطقي ، الذي يفرضه العلماء والمفكرون في هذا العصر ، ان ينظر المتعلمون المنتسبون الى الاديان المختلفة في الادلة المثبتة لكل دين بصورة عامة ، والادلة المثبتة للاسلام بصورة خاصة ، ان ينظروا بدرس عميق ونقد بالغ مقارن ، وتمحيص دقيق في ثبوت النصوص ، ليشاهدوا بأم اعينهم ، كيف تنكشف الحقائق ، وينظروا ادلة إثبات الاسلام ملموسة ، وادلة إثبات غيره اخبارا وصلت بطريق ظني وسلاسل منقطعة ، وحينئذ يهتدون الى الوحدة الروحية ، التي نادى بها خاتم الانبياء

الاحزاب ٤٠ «٢» يونس ١٠٤

فيقبلون عليه ، وهم يصافحونه بمودة واعتذار (١) عما سلف من احكام طائشة مبنية على خيالات واوهام ، لاصلة لها بالعلم والحقيقة ، تالين الآية التي نزلت في حق رجال الدين الحبشة : « واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ، ترى اعينهم تفيض من الدمع ، مما عرفوا من الحق ، يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (٢)

وحينئذ يرون ايمانهم بأمثال ميخا وحزقيا وصدقيا ونحميا وعاموس وحجي ... وبوذا وبرهمة ولاوتسو وكونفوشيوس وزرادشت ... وسواهم من الذين اعتمد الناس في تصديقهم على الخوارق فحسب مع انكارهم ، الايمان بخاتم الرسل الذي ثبتت رسالته بالحجج العلمية القطعية الدائمة ، يرون ايمانهم باولئك مع اعراضهم عن هذا ، هو ايمان بالموروثات فحسب بل نوم ابدي في نواويس التقاليد . ولا ريب ان في ذلك من المؤاخذة والمسؤولية امـــام الله والعلم وامام موسسي اديانهم الذين جاؤا ليعلموا الناس ، كيف يؤمنون بالحقيقة متى انكشفت لهم ، فيه ما فيه !!

على اننا حين ندرس الاسباب التي جعلت بعض اهل الاديان ، يعرضون عن دراسة الاسلام ، دراسة علمية محررة نجدها ماثلة في اعتقادهم ، ان الاسلام جاء مناهضاً الدعوة إلى

---

(١) راجع « خواطر وسوانح» لهنري دي كاستري ، وما كتبه كوليام ومسيو دينه ، حول هذا الموضوع

(٢) المائدة ٨٢

الله التي نادى بها مؤسسو أديانهم .

ومن الخطأ الفاضح ، ان يعتقد معتقد ان الاسلام منابذ ومجاف لما جاء به مؤسسو الاديان الاول : كسيدنا ادريس وسيدنا ابراهيم وسيدنا موسى وسيدنا عيسى ، صلوات الله وسلامه عليهم ؛ ويبنى ذلك المعتقد على نظرية مقلوبة هي ان الاسلام انشق عنهم ، ليحارب ما جاؤا به .

خذ مثلاً ، الخرافة القائلة : ان الاسلام فرقة منشقة عن المسيحية ، لان محمداً كان كردينالاً في رومية ، وطمع بالبابوية فلم يفلح لانه عربي ، فأسس فرقة من جسم المسيحية ، تنابذ المسيحية ! بل ان بعض السطحيين ، يعتقد ان محمداً اخذ بمبادىء النساطرة والاريوسيين فأسس بها فرقته الجديدة ! !

ولما كان من تقاليد ملوك الروم ، النظر بعين الضغينة للفرق المغايرة لمذهبهم ، وعدم اعطاء حرية الاعتقاد ، ناهضوا الاسلام ظنا منهم انه فرقة من فرقهم ، كما قيل لهم .

هذا هو السبب الذي جعلهم يناهضون الاسلام ، من قبل ان ينظروا في مبادئه ويعلموا عقيدته في سيدنا المسيح ووالدته الطهور ، كما فعل ملك الحبشة ورجال دينه النزهاء

اذن ، لقد اجتمع على الاسلام منذ انبثق فجره ، سوء فهم من اكثر رجال الاديان ، وتخيل رجال السياسه انه جاء لينتزع منهم الملك والسلطان ، ولو اتضحت لهم الحقيقة في هاتين المسألتين ، لتقدمت المدينة قرونا ، ولما احتاج الرجال الرسميون الذين يأخذون بأزمة الدول العالمية الآن ، الى

اعادة النظر والدراسة في الاسلام ، ولما سقط العالم في بلايا المذاهب المادية ، التي قتلت الروح الانساني الكريم ، وارثت الضغائن ، ولما انبثقت المذاهب التشريعية الاباحية في العالم ، بل كنا وجدنا جامعة الدول الانسانية بنيت واسست على مُثل القرآن العليا ، منذ اربعة عشر قرنا .

والذي يخفف وقع هذه المصيبة ويجعل المعذرة مقبولة لدى المفكرين المسلمين ، هو ان كنيسة رومية مثلاً ، ترى نفسها وحدها حاملة الحق كله ، ولا تغض الطرف عن الفرق المسيحية الاخرى ، امثال البروتستان والارثوذكس وغيرهما بل لا ترضى عنهم الا بالانضواء تحت لوائها ، وهذا التشدد وعدم الاخذ بتسامح سيدنا المسيح ، هو الذي جعل الفرق الاخرى تنظر لها نفس النظرة ، كما جعل المسلمين يقفون في موقف حرج ، يعدمون فيه الوسائل لافهام حقيقة دينهم للجميع .

الا ، ان هذا كله تشدد وثني ممقوت ، يبغضه الله الذي قدر للانسانية الحرية الفكرية المسببة لاختلاف الآراء والمعتقدات في اصل نواميس الوحي والخلق التكويني .

اجل يحققه الله ، بل ما انزل وحيه في كل الاديان ، الا لمحاربته ، فكل مؤسسي الاديان عاشوا ماعاشوا ، وانتقلوا الى الله ، وأكثر البشر لم يتبعـــوهم ، ومـع ذلك لم يأمروا بإبادتهم واستئصالهم ، او مجـــافاتهم ومناكرتهم ، بل امروا ببرهم والاحسان اليهم : « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا

اليهم ان الله يحب المقسطين . » (١)

اجل ، لم يتح لرجال الروح والزمن ، دراسة الاسلام في منابعه الاولى ، العلمية الموثوق بها ، منذ انبثاق فجره ، فكانت المعلومات عنه تتساقط عليهم مما يتفكه به السطحيون وصغار المتعلمون من قصص موضوعة ، ومفتريات مخترعة ، واكاذيب ملفقة ، للتشفي او التسلية او الانتقام او صرف العامة عن فهم الحقائق او لاشعال العداوة بين الشرق والغرب : العداوة التي بها يتاجرون ، وعلى حسابها يعيشون .

والحقيقة ان الاسلام هو الحلقة الاخيرة في سلسلة الاديان التي اوحاها الله ، يسير مع تطور البشرية وتقدمها جنبا الى جنب ، ويشتمل على عناصر التقدم والمحبة وقبول المعذرة من جميع ابناء الانسانية .

وكم يؤسف الدوائر العلمية في الشرق ، حين ترى الغربيين يبذلون من الاموال الطائلة والتضحيات ، لكشف قمة (افرست) مثلا او القطب الشمالي ، مالا ينفقون مثله في كشف حقائق القرآن ، وتفهم مثله العليا الاتراهم وهم في عصر النور والعلم ، يبذلون الاموال الطائلة لكشف الحقائق ومع ذلك يذاع بينهم الجهل باسم العلم ، والظلام باسم النور ، وقطع الصلات الانسانية بين الشرق

(١) الممتحنة ٨

والغرب بيد الذين يؤمل منهم ربطها واحكامها (١)

والعالم المتمدن اليوم في حاجة الى دولة عالمية انسانية كبرى ، تفرض كشف واقع المعرفة لكل الاديان ، مع التسامح والمودة والاخلاص ، لتسود الحرية والسلام والامن.

(١) ليأخذ القاريء فكرة صحيحة عن هذا الامر ، ينبغي ان يراجع آخر كتاب صدر في هذا الموضوع ، وهو كتاب « نظر الغرب الى الاسلام» ويطيل النظر في صفحات ١٨ — ٢٤ ليرى « دودج » عميد الجامعة الاميركية السابق في بيروت ، الذي تيسّر له ان يقيم بين المسلمين الاعوام الطويلة ، ولم يكلف نفسه تحرير المعرفة بالنظر لتعاليم الاسلام اذ تراه ينظر صفحة الفرائض الخمس في كتب الفقه ، ويعجب كيف فرضت ، والانسان احيانا لا تمكنه وظيفته او عمله من اداءها في اوقاتها المفروضة ، ولم يكلف نفسه ان يقلب الصفحة الثانية من الفقه ، ليرى كيف شرع الاسلام قضاء الفوائت ، لمثل الحالة التي ذكرها

وهكذا الجهل بحقيقة الشيء يوقع في الكثير من امثال هذه الاخطاء

المجرب لا يجرب

سبق ان ذكرنا ، ان الحواجز بين واقع معرفة ماجاء في القرآن ، وبين الغربيين كثيرة . اللغة والقارة والقومية وفهم الدين على غير وجهه الصحيح ... ولم يوجد علمـــاء امناء ، يخترقون كل تلك الحواجز ، ويكشفون للامم الغربية كنوز واقع المعرفة الآلهية التى انزلها الله في القرآن ، فمرت الاجيال والقرون ، والجهل والافتراء والوضع والدس ، يغشى واقع المعرفة بظلماته الحالكة .

اما نصارى العرب ، فلم يكن بينهم وبين الاسلام من تلك الحواجز شيء ، حتى حاجز الدين ، فقد اعلن الاسلام من اول يوم ، انـه يستقي من الشجرة التي استقى منهـا موسى والمسيح والرسل من قبل : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذي اوحينا اليك ، وما وصينا بـــه ابراهيم وموسى وعيسى ، ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (١)

لذلك لم يجد نصارى العرب في الاسلام يوم تليت عليهم آيات القرآن ، من تنكر لما جاء به سيدنا المسيح ، لا بل وجدوا من الاصول المقررة التي لايكون المسلم بدونها مسلماً الا اذا آمن بسيدنا المسيح وطهارة والدته البتول وحواريه تلاميذه الابرار .

---

(١) سورة الشورى ١٣

ومن اجل ذلك نجد الصلات والمودة بين المسلمين والمسيحيين وثيقة . وقد ظل الخلفاء والملوك المسلمون حتى بعد سوء التفاهم الذي وقع بينهم وبين الروم ، يمنحون نصارى العرب المودة والثقة ، ويسندون اليهم اكبر الوظائف في الدولة ، بل شملت تلك الثقة المجوس والصابئة واليهود .

وقد مضت القرون والاجيال ، والحال على ما ذكرنا ، وما نجده من سوء تفاهم ، جد بين الروم والعرب ، او بين الشرق والغرب بصورة عامة ، انما سببه واحد لايتغير ، هو وجود الذين يحترفون إسعار العداوات ، ويتاجرون باسمها ويربحون ، وان افضى ذلك الى اهراق الدماء .

على ان هؤلاء المحترفين ، هم عريقون في القدم ، ولولا الرغبة في الاختصار ، لسردنا الحوادث التاريخية ، واسماء الباعات التي كانت تثير الحروب والفتن ، منذ ايام الاسكندر وقبله وبعده !

اجل ، لولا هؤلاء المتاجرون بإلقاء سوء التفاهم ، لما سمعنا كلمة واحدة تجرح العاطفة بين المسيحية والاسلام .

اذن فمسؤلية اراقة الدماء التي وقعت بين الشرق والغرب على مدا التاريخ ، انما تقع على رقاب المتاجرين ، الاعداء الالداء للشرق والغرب معا . اذ هم الذين يخترعون في كل عصر ، طرقاً لاثارة الحروب والفتن ، باسم المساعدة والنصيحة وتلافي الاخطار والتيقظ لما يأتي به المستقبل ، والاغراء بالثروات واقتناص كنوز الاقتصاد ، وسوى ذلك مما يفتح به عليهم

موجههم ابليس اللعين .

هؤلاء هم الذين اثاروا الشكوك والريب حول الاسلام والمسلمين ونشروا الجهل باسم العلم والمعرفة ، ونقلوا الاسلام الى الغربيين مشوها مغلوطاً ، حافلاً بالوثنيات والمطاعن ، على سيدنا المسيح واتباعه واضمار الكيد له ولهم ، وهؤلاء المتاجرون لا ينتظرون الظروف المواتية والمناسبات ، بل يخلقونها بما ينفثون من سموم ، ويبتدعون من طرق ملتوية خفية .

وكم يسوء هؤلاء اتصال الشرق بالغرب . من طريق التفاهم الاقتصادي ، واحترام الحريات .

خذ مثلاً ، يوم رأوا في القرن الرابع عشر ، الصلات الاقتصادية الودية ، تقوم بين البرتغـــال وشواطيء جزيرة العرب وايران ، كيف ساءهم الامر وغمهم ، واخذوا يسولون للزعماء البرتغاليين ، ان الصلات الاقتصادية لن تستمر الا اذا نزع من الشرق ثوب الاسلام !! وهم يهدفون من وراء ذلك ان ترصد لهم الاعتمادات المالية ، وتدفع لهم المساعدات الضخمة بأسماء شتى ، ووسائل مختلفة ، وهم يعلمون ان هذا الامر سيقطع الصلات ، ويلقي في نفوس المسلمين الحذر والخوف وهكذا اسقطوا الدولة البرتغالية ، في الهوة التي فتحوها في وجهها ، فسقطت فيها ، ولم تخرج منها الا بخروجها من الشرق كله ، فخسرت تلك الصلات الاقتصادية ، وخسر المسلمون دماءهم التي اراقوها لحفظ عقائدهم ، التي ما كانت تضر مصالح البرتغال الاقتصادية في شيء !!

ولو وجد اذ ذاك ، بين زعماء البرتغال الذين كان بيدهم الحل والعقد ، ساسة محنكون ، ينظرون الى بواعث توجيهات الموجهين الخفية ، وما يكون لنتائج توجيهاتهم من شر مستطير ، لضربوا تلك التقارير في وجوههم ، ولحرموهم حتى نعمة الحياة التي يتخذونها اداة للافساد واشعال الفتن .

اجل ، لضربوا وجوههم بتقاريرهم الطويلة العريضة ، التي لا تزال محفوظة في الدوائر السياسية الى اليوم ، والتي تدل بصورة واضحة ، كيف يهدم بعض الافراد حياة دولة ليبنوا حياتهم هم وحدهم ، بما يمتصون من دمائها ، ويجلبون عليها من ويلات واخطار باسم النصيحه والارشاد !! ...

ولو وجد ايضا بين الشرقيين ، من يكشف لزعماء البرتغال اساليب اولئك المتاجرين في الدس والكيد ، لما ساء الامر بينهم وبين البرتغال الى الدرجة التي يقصها علينا المؤرخون.

وهؤلاء التجار انفسهم ، هم الذين اوقدوا الفتن والاحقاد بين الهولانديين وسكان جزر « اندنوسيا » حتى جعل اهل تلك الجزر ، يوم خروج هولاندا من بلادهم عيداً .

ونحن نعتقد تمام الاعتقاد، لو ان الهولنديين السياسيين، اعرضوا عن هؤلاء الدساسين المرجفين ، ولم يأخذوا بما يضعون لهم من خطط ، لاخراج الاندنوسيين من دينهم وعقائدهم ، باساليب شتى ، وهي لديهم اعز من ارواحهم ، لما حدث الذي حدث من سوء التفاهم والتخوف ، ولظلت هولاندا الى اليوم ، تنعم بحسن الصلات مع اهل تلك الجزر ، ولظل تبادل المنافع

الاقتصادية بين الفريقين ، يتطور بتطور الحضارة والعلم والمعرفة

والواقع ان طبيعة الغريزة الدينية ، ترفض من يحاول هدمها ، او اضعافها ، مهما كانت قوة الاول وضعف الثاني وان اضطر الثاني الى مخالطته والاشتراك معه في عمل ما ، فما هو الا من باب المسايرة والصبر على المكروه .

ان حرية العقيدة ، هي قضية دينية الهية في كل الاديان ، من قبل ان تكون قضية سياسية او علمية ، ولو لم تكن قضية دينية في كل الاديان ، لجعل الله الناس جميعاً ، اهل دين واحد ، وكونه لم يجعلهم اهل دين واحد ، ولم يجعل في امكانهم ذلك ، لما خلقهم عليه ، من اختلاف في النفسيات والطبائع وطرق التفكير ، وفهم اسرار الوجود ، وجل ذلك اعلنهم ان المحاسبة على صحة العقائد وعدمها مؤجل الى يوم الدينونة ، وذلك دليل قطعي ، على ان حرية العقيدة ، مفروضة منه تعالى ، لكل الناس . في اصول الوحي ، وفي اصول الخلق التكويني ، ليتخذ كل انسان العقيدة التي يطمئن اليها .

اجل ، أخـــر الخالق العظيم ، عقوبة الذي يدين بعقيدة باطلة ، مع وجـــود العقيدة الصحيحة ، الى يوم الدين ، اجلها في صميم القرآن الكريم « فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر ، الا من تولى وكفر ، فيعذبه الله العذاب الاكبر ، ان الينا إيابهم ، ثم إن علينا حسابهم » (١)

---

(١) سورة الغاشية

وهذا عين ما نجده في صميم الانجيل « من رذلني ولم يقبل كلامي فـــله من يدينه ، الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الاخير ، لاني لم اتكلم من نفسي » (١)

ومن العجيب الغريب ، ان التجارب التاريخية والاحداث التي مرت على البرتغال وهولاندا ، لم يستفد منها رجال الدول التي لا تزال لها الصلات السياسية في الشرق .

خذ مثلاً ، فرنسا ، كيف يوقعها هؤلاء المنتهزون من حين الى حين ، في هوة خلف هوة ، والعداوات تزداد ، والأحقاد تستعر ، ومع ذلك لا تلتفت فرنسا ، الى الاسباب الحقيقية التي تجعل المغاربة يستعذبون حتى تقديم ارواحهم ، في سبيل التخلص منها ، محافظة على حريات عقائدهم . ولو انها اخذت العبرة بالبرتغال وهولاندا ، وجعلت الصلات مقتصرة على الاقتصاد وتبادل الحـــريات ، وضربت على ايدي كل من يزين لها المداخلة في الشئون الدينية ، لما وصلت الحالة في المغرب الى ما وصلت اليه اليوم ، ولا يعلم نهايتها الا الله .

لذلك نرى من الحكمة والاخلاص في النصيحة ، ان تضرب الدول ذات الصلات السياسية والاقتصادية في الشرق عـــلى ايدي المحترفين المتاجرين الذين يستفيدون من وراء اشعال العدوات والاحقاد بينها وبين الشرق .

الا تراهم يكلفون تلك الدول انفاق مـلايين الملايين في اقامة المعاهد والمدارس والمستشفيات والجمعيات الطبية والنوادي

(١) انجيل يوحنا ١٢ - ٤٨

الرياضية ... وكل ذلك ليعيشوا هم ويفتحوا لانفسهم اسواقاً للتجارة والربح ، اذ الواقع ان هذا الطريق لاينتج سوى العداوة والبغضاء ، وفي النهاية قطع الصلات بصورة حاسمة (والمجرب لا يجرب) ولا نجد مثلاً يصدق على اولئك المنتهزين ، الا ما قاله فيهم جبران خليل جبران :

كأنما الدين ضرب من متاجرهم
ان واظبوا ربحوا او اهملوا خسروا

ويعلم الله ، كم من تقادير كاذبة ،وأباطيل مختلقة ، رفعت الى دوائر الاستخبارات لدى الدول ، والى جمعيات التبشير ، وما اصدق ذلك المستشرق الذى يقول ، منتقدا افتراء تلك التقارير : (لو احصت الدول والجمعيات المسكينة ، اسماء الجماعات والافراد الذين فتحت لهم ابواب السماء فدخلوها بعد ان كانوا خارجها ، كما جاء في تلك التقارير المرفوعة الطالبة المزيد من ارسال المال والمعونات ، لفاضت دعوة التبشير من الكرة الارضية حتى غمرت المريخ) .

واولئك المتاجرون ، ذوو دهاء وكيد ، فهم يلبسون لكل حالة لبوسها ، ويظهرون باللون الذي يناسب الجماعة التي يريدون اقتناص اموالها ، فان كانت من المحسنين ذوي القلوب الانسانية الرقيقة ، فطريق اقتناص اموالها قولهم : ان المسلمين وثنيون يعبدون محمداً ويستحلون دم كل انسان لايعبد من يعبدون ويظلمون النساء ... وهم لذلك محرومون من دخول السماء فالرحمة الانسانية تقتضي انفاق الاموال ،

وتأسيس اندية الدعاية من كل نوع لايصالهم الى نعمة السماء » !!
وان كانت من السياسيين الذين لا يهمهم من دخل السماء ومن خرج منها ، ما دامت الدولة قوية والسلطان نافذاً والمصالح الاقتصادية و « الستراتيجية » مؤمنة ، فطريق اقتناص الاموال منها هو قولهم : « ان الشرقيين اذا دخلوا مذاهب الدول الكبرى ، اعطوها اكثر مما تطلب ، اذ يهبونها قلوبهم ، فضلاً عن المصالح الاقتصادية والسياسية » !!

والحقيقة ان هؤلاء المنتهزين يلعبون على الحبلين ، وان كان يكذبهم الواقع بالقريب المشاهد، اذ هذه المانيا ، وهي بروتستانية كالانكليز والولايات المتحدة ، لم تهب لهم قلوبها ولم ترض باحتلال بلادها ، بل ها هي ذي تسعى جاهدة للتحرر والانطلاق ولكن هؤلاء المتاجرين لم يعدموا حيلة في اختراع الجواب اذ يقولون : « المانيا امة مثقفة متعلمة ودولة غربية كبرى لاترضى باحتلال ولوكان من ابناء دينها ومذهبها » . والرد عليه : « هذه الحبشة وهي امة شرقية تشتمل على امراض الشرق بعجرها وبجرها ، ولا يجهل احد كيف ثارت ثائرتها حين حاولت ايطاليا غزو بلادها وكيف اخذت تتساقط في ميادين القتال ، افراد وجماعات ، مع انها هي وايطاليا كاثوليكيتان !!

اذن ، فدخول هذه الامة الشرقية او تلك ، في مذهب هذه الدولة الغربية او تلك ، لايعطي النتيجة التي يتاجر باسمها اولئك ، بل يزيد الطين بلة والمسئلة تعقيداً ، ولو كان

يعطيها حقيقة ، لظلت الولايات المتحدة الى اليوم ، منضوية تحت لواء انكلترا .

ولذا نرى من النصيحة الصادقة ، والسداد في الرأي ، ان تعرض الجمعيات الخيرية في الغرب ، ودوائر السياسة ، عن امداد هـــؤلاء المتاجرين ، الذين يعيشون بالقاء سوء التفاهم . وحينئذ يبنى التفاهم على المنافع الاقتصادية المتبادلة والصلات الانسانية الاجتماعية ، ومثل الاديان العليا ، الحافلة بالتسامح والمودة والاخلاص والحريات .

وإننا نعتقد أنه يوجد رجـال من شرقيين وغربيين هم انسانيون علماء اطهار ، في استطاعتهم أن يقيموا بناء التفاهم بين الشرق والغرب ، على احسن بناء جديد قويم . وعلى امتن ما هو مسطور في الاديان من المثل الانسانية العليا . هناك تسعد الانسانية وهناك يسود السلام .

الخوارق

اثبات للنبوة وطريق للتأليه

اثبات النبوة لا ننا نجد اهل كل دين ، لا يصدقون رسالة مؤسس دينهم الا بما يروونه عنه من خوارق . ومن المبالغة في هذه الخوارق، وجعل فاعلها الحقيقي — الخالق العظيم — يؤله من يؤله من البشر!

اذن فكل جماعة ، ترتكز في تصديق دينها ، على جملة ماوصلها من الخوارق ، التي يروونها . وهكذا نجد طريق اثبات الاديان واحداً ، الا وهو الخوارق ، والذي جعل كل فريق ، يصدق بخوارق عقيدته وعجائبها ، دون خوارق وعجائب الآخرين ، هو التلقي والوراثة والتربية وتأثير الاباء في الابناء .-ولم يخرج عن هذا الطريق التقليدي الذي تثبت به صحة الاديان لدى اهلها ، الا خاتم الاديان السماوية « الاسلام » . اذ معجزته مشاهدة ملموسة ابداً، القرآن المجيد والسبب في ذلك ان القرآن معجزة ابدية دائمة . لدين دائم ليس وراءه دين ، فلو كان دليل صحته ، عجائب وخوارق قـــد مضت وانقضت ، واصبحت رواية تروى وحكاية تحكى ، عن الآباء والاجداد وتقص على الابناء والاحفاد ، لما امتاز عن غيره من الاديان في شيء ، ولما صح

ان يكون خاتم الاديان السماوية ، ودين الانسانية السرمدي الخالد الى يوم القيامة .

ولما كانت العادة في رواية العجائب ، ان يغالى فيه ويبالغ ، حتى تخرج صاحبها عن الرسالة ، وتشركه مع الخالق العظيم في الالوهية ، وحتى تنسى المتأخرين من اتباعه قيومية الخالق العظيم الذاتية ، وتحل محلها فكرة أن مؤسس الدين الاول هو الله في نظرهم ، لما كان الشأن هكذا اقتضت الحكمة الالهية ان تجدد الرسالة مرة بعد اخرى ، كلما انتكست العقلية الانسانية بأوباء هذا الداء العضال . ولما كانت الخوارق المروية في الكتب الدينية واحدة ، ولا تخرج في جملتها عن احياء الموتى ، وشفاء المرضى ، واخراج للشياطين وتحويل بعض الاشياء ، والنبوآت والرؤى ... اكتفينا هنا بالاشارة اليها ، لان ادنى مراجعة لمطلق كتاب ديني يجد القارىء ما ذكرناه واضحاً جلياً .

اذن فحجة اثبات الاديان لدى اهلها جميعا واحدة ، ما خلا الاسلام ، اذ حجته قائمة ملموسة مشاهدة لكل باحث منقب دارس مقارن منصف . ورحم الله شوقي حيث يقول في هذا المعني ، مخاطباً خاتم الرسل ﷺ :

جاء النبيون بالآيات وانصرمت

وجئتنا بحكيم غير منصرم

آياته كلما طال الزمان بها
يزينهن جلال العتق والقدم

المبالغة في الخوارق

فهمنا ان الله سبحانه وتعالى ، حينما يرسل رسله صلوات الله عليهم وسلامه ، يؤيدهم بالعجائب ، وتكون حينئذ هاتيك العجائب والخوارق بمثابة التصديق اليقيني ، انهم ارسلوا من قبل الله القادر على خلق تلك العجائب وحده . ولكن حين يتقادم العهد وتتوالى الاجيال يبالغ المتاجرون باسم الدين في وصف تلك العجائب ، ويضيفون اليها الكثير الكثير ، ليخرجوا بالرسل عن انسانيتهم ويدخلوهم في ساحة الالوهية . وكل حجتهم هو ظهور تلك العجائب ، التي بالغوا فيها وغالوا ، على ايدي اولئك الرسل ، اذ يعتقدون انه ليس باستطاعة شخص فعلها ، فيدخلون في عقلية الناس ان المؤسس الاول او الرسول هو الله ، لاستحالة حدوث تلك الخوارق من البشر . ومن هنا جاء تأليه الشمس مثلاً ، لان ما نفعله من الاعمال المدهشة يستحيل ان يصدر عنها لو لم تكن مشتملة على روح الهي كما يأتي .

واول من عرف التاريخ من الذين ألهوا بسبب ما اظهر الله على ايديهم من الخوارق هو ادريس - اخنوخ - وآخر من عرف من الذين ألهوا باسمها هو البهاء الفارسي .

والذي نعتقده ان الانبياء والرسل والمصلحين الدينيين الذين ألهوا بسبب العجائب ، هم لم ينسبوا لانفسهم الالوهية اما من جهة الرسل والانبياء فبكل تأكيد ويقين ، وحاشا

رسل الله ان ينسبوا لانفسهم الالوهية : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله » (١) وفي هذا المعنى نرى في انجيل يوحنا « لاجل هذا الجمع الواقف قلت لانك ارسلتني ، لاني لم اتكلم من نفسي » (٢)

واما من جهة المصلحين الدينيين ، امثال عبيدالله المهدي وبوذا وزاردشت (٣) ... فهؤلاء بكل تأكيد لم يدعوا الالوهية لانفسهم ، لانهم كانوا دعاة لعبادة الله وحده ، ومحاربة الشرك والوثنية وعبادة الارواح . وقد نجحوا في دعوتهم ولكن بعض اتباعهم بالغوا في احترامهم مبالغتهم في الرسل والمبالغة والغلو يفضيان عادة الى التأليه بكل تأكيد .

على ان كل ماينسب الى عبيدالله المهدي ، من انه قال ان الله حل فيه ، فلا صحة له ، اذ هو في كل جمعة يخطب الناس ، ويدعوهم الى عبادة الله وحده . وهذا شأن الحاكم بأمر الله في خطبه الجمعية ، في الأزهر وجامع عمرو بن العاص وسواهما من المساجد . ولكن اخصامها السياسيين ، اختلقوا عليها ما اختلقوا ، تصفيرا لشأنهم ، وتوصلا لهدم دولتهم

وكيف يدعي الحاكم الالوهية ، وهو الذي كان يقتفي آثار جده الامام جعفر الصادق ، رضى الله عنه ، ويجلب كل

---

(١) آل عمران ٧٩ (٢) ١١ — ٤٣ و ١٢ — ٤٨

(٣) راجع كتاب « الحكماء الثلاث ص ٤٥ و ٧٥ ، لتتحقق ان بوذا لم يدع الالوهية ، وان زرادشت كان يدعو الى التوحيد .

مخلفاته العلمية من المدينة المنورة ، ويفرض على الاولاد حفظ القرآن الكريم ، وينفق من الاموال الكثير الكثير ، في اصلاح المسجد الاقصى ، حين اشرف على التداعي .

وما يذيعه بعض المستشرقين من ان آثار الحاكم بأمر الله الموجودة في الكتب الخطية ، المنسوبة للموحدين ، فيها كثير من الخرافات والاضطرابات ، فقد اجابهم عليها العلامة الحجة الشيخ احمد الهجري ، حين سئل عنها فقال : « كل كتاب لايوضع فيه اسم مؤلفه وهو يخلو من التاريخ ، اما ان يقصد به معالجة وقتية زمنية ؛ لاهل قرية او منطقة بعينها ، واما ان يكون من بقايا خرافات الفرقة السكينية ، التي تذاع كتبها باسم الموحدين ، للدس والحط من كرامتهم . لذلك لايصح للمستشرقين ، ان يعتمدوا على تلك الكتب ، ويعتبروها مرجعا ، اذ ليس لنا الا مرجع واحد ، هو القرآن المجيد الذي كان عليه الحاكم واجداده العترة النبوية » . ومن اراد التوسعة في هذا الموضوع فليراجع ماكتبه الامير شكيب ارسلان ، وما ذكره صاحب كتاب « صبح الاعشى » عن الموحدين وما نظمه الاديب عمر الحوري في هذا الموضوع .

* * * *

وهكذا نرى البشر الغارق في القدم ، حين انحرفوا عن عقائد سلفهم الصحيحة ، دخل عليهم مرض وثنية ان الله روح ، فحملوا الصفات التي يعرفونها للروح ، من حلول وانتقال وتجسد وتأنس والصقوها بالخالق العظيم .

الا نرى اليونان حين تصوروا صفات الله الخالق تصوروها على ما يعرفون ، من صفاتهم ويشاهدون ، فرسموه - تعالى - ابيض الوجه ، مشرباً بحمرة اشقر الشعر ، ازرق العينين ، يتكلم اليونانية ، ويقيم في سماء اليونان . ويوجد بجسمه مادة تمنع عنه الفناء . وهكذا نجد الزنوج القدماء اخذوا صفات الله من صفاتهم التي يعتقدون كمالهـــا ، فتصوروه اسود الوجه افطس الانف غليظ الشفتين . وما منشأ هذا التصور الا ما يشاهدونه من مظهر الروح بهذه الصورة الانسانية التي يكبرونها

وعلى كل حال ، فالمبالغة في الخوارق ، ونسيان ان فاعلها الحقيقي هو الله ، هو الباب الذي يلج الذين يؤلهون البشر ، فهذا افلوطين اليهودي المدرس في مدرسة الاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد ، حين مرضت عقليته بسبب مجاورته للعقيدة المصرية القديمة القائلة : « ان الله روح يحل في اجساد العظماء ، ويجري بنفسه الخوارق » ، اعلـــن الوهية « عزير » حين استعظم اعماله . ولم يجد تأييدا لعقيدته الا من بعض سخفاء الاحلام ، ثم ماتت العقيدة في مهدها ، لذلك لم يذكرها القرآن الا مرة واحدة : « وقالت اليهود عزير ابن الله » (١) ذكرها بمناسبة الاشارة الى قدم الامراض وانتقال عدواها ، من امة الى امة .

---

(١) سورة براءة ٣٠

تأليه غير البشر

لايؤله من يؤلهون اشياء الوجود ويعبدونها ، لانهم يحبونها اكثر من الله ، ولكن لانهم جهلوا سر قدرة الله في الاشياء ، وظنوا انه هو الذي يفعلها حين يحل فيها . سواء حل في الشجرة او الشمس او الكواكب او الحيوان ... وحجتهم في ذلك العجائب نفسها ، وقل مثل ذلك في سواها من الكائنات المؤلهة

ومن هذه المعرفة يفهم العقل الانساني فهما علميا صحيحاً ان الخالق العظيم ، ليس هو هـــذه الاشياء المعبودة من دونه بطبيعة الحال ، ولا صفاتها صفاته ، بل هذه الاشياء وصفاتها ، مخلوقة له من جملة مخلوقاته . والحق ان جهل اسرار القدرة الآلهية المتجلية ، في هذه المخلوقات ، هو الذي اسقط القدماء في تأليهها .

خذ مثلاً الذين ألهوا الشمس ، فانهم جهلوا اسرار حرارتها وفيضان انوارها ، وتوقف الوجود وحياة الانسان والحيوان والنبات ... عليها ، ولا ريب ان امراً كهذا يحتاج الى علم خارق للغاية ، وقدرة هائلة جداً ، لذا لا يصح نسبته الى جرم الشمس ، وهي جسم ناري خال من العقل ، اذن فلا بد ان ثمة روحاً تحل في الشمس ، لها ذلك العلم ، وتلك القدرة ، تفعل كل تلك العجائب المنسوبة الى الشمس في ظاهر الامر . وهذه الروح — في نظرهم السطحي — لابد ن تكون هي الله او بعضه . ومن اجل ذلك عبدوها .

ثم عبدوا الكواكب بحجة انها بناتها ، وعبدوا النار ، لانها من جنسها . وهذا شأن الذين عبدوا الرعود والبروق وسواها من مظاهر الوجود ، اي الذين جهلوا ان هذه المظاهر ، هي آثار قدرة الله في خلقه ، وقد ادى بهم هذا الجهل ، الى اعتقاد ان الله روح عاقلة حالة في كل معبوداتهم في الوجود

وقد ذكر صاحب كتاب « الكوخ الهندي » كيفية جهل الاسرار التي تؤدي الى عبادة اشياء الكائنات ، سواء كانت مادية او معنوية ، ان في الهند منطقة تكثر فيها الصواعق ، وان فيها شجراً ذا اوراق عريضة جداً ، تدفع خطرها ، وان اهل تلك المنطقة يلجأون الى تلك الاشجار ويحتمون بها ، ويعتقدون ان الله روح ازلية قديمة حالة في هذه الاوراق وانه هو الذي يدفع الخطر ، ومن اجل ذلك يعبدونه فيها .

وصاحب الكتاب يذكر ان السر واضح جدا ، وهو ن تلك الاشجار ، تشتمل على القوة الواقية ، الموجودة في المغناطيس . ولو عرف هؤلاء ان خالق الوجود ، هو الذي اودع تلك القوة التي في اشجارهم المعبودة ، وقاية لسكان تلك المنطقة ، التي تكثر بها الصواعق ، كما اودع — سبحانه اوتعالى — قوى الاثير والجاذبية والكهرباء ... لو عرفوا ذلك لعبدوه وحده وعرفوه وحده .

على اننا نعتقد انهم لو شاهدوا البشر الذين يستخدمون اليوم قوى المغناطيس لدفع تلك الصواعق ، لضموهم في العبادة

الى اشجارهم تلك ، ما دام المقصود عبادة مخلوق لمخلوق !

التقوى والذكرى

اعتاد الانسان القديم ، ان يصنع تماثيل لاقاربه الذين يهمه ان تظل ذكراهم حية لديه . كما اعتاد ان يصنع مثل تلك التماثيل ، لاهل التقوى والصدق من الرؤساء الروحيين وسواهم من المتفوقين ، ثم مع توالي الازمان ، والضراعات حول تلك التماثيل ، اعتقد الابناء ان ارواح الآباء تحل في تلك التماثيل ، ثم تطورت المبالغة والمغالاة ، فوصلت اوجها ، اي اعتقدوا ان تلك الارواح آلهة متصرفة في الكون ، تصرف الخالق في خلقه !! وانا نجد آثار ذلك لاتزال الى اليوم في بيوت بعض وثنيي الصين واليابان وافريقيا ومعابدهم .

ونعتقد ان هاتيك التماثيل والاصنام ، تأخذ اسمها من اسماء الاشخاص المنحوتة على شاكلتهم ، او المقامة لذكراهم ، وحين عبدت اطلقت اسماؤها على الخالق العظيم نفسه ، فسمعنا اسماء « يوبيتر ومترا واللات ... » (١) مطلقة على الخالق العظيم .

ويمكنك من هذا البيان ان تفهم كيف وصل الانحطاط بالعقلية الانسانية ، حتى استساغت ان تطلق اسماء الحيوانات

---

(١) دلت الآثار السومرية المكتشفة في العراق ، ان الجنس السامي يغلغل تاريخه في ابعاد الزمن ، اذ تثبت هذه الآثار ان الساميين عبدوا الالهات منذ عشرين الف عام .

ومن هنا يرى القارىء ان الرأي المنقول عن شراح العهد القديم من الجنس السامي يعود الى خمسة واربعين قرنا ، رأي متخلف عن الواقع .

على الخالق العظيم ، امثال « ابيس » وسواه من الحيوانات والحشرات المعبودة !

الشفقة والخوف من الضرر

ولئن كان سبب عبادة الحيوانات ، في مصر القديمة ، تقديراً للنفع او خشية من الضرر ، فهي في فارس القديمة ، منبثقة من الشفقة التي امر بها « زرادشت » وبالغ بها اتباعه فيما بعد ، ولا تزال في الهند والصين واليابان ، متمثلة في عبادة البقر وغيرها من الحيوانات النافعة أو الضارة اوالجميلة (١)

اسباب التأليه والعبادة في الجملة

كنا نود ان نسترسل في اسباب التأليه المفردة ، ولكن الفينا المجال يطول بنا ، فاحببنا ان نختصرها في اسباب التأليه بالجملة ، ليأخذ قراؤنا الاسباب التي بني عليها العابدون عبادتهم ، لما عبدوا من دون الله .

نعم نجد جملة من الاسباب ، قد تجتمع في عبادة الشيء الواحد ، خذ مثلاً « بوذا » الذي عبد من دون الله ، فانه عبد في نظرهم لعدة اسباب : —

(١) لان له خوارق شتى لاتدخل في قدرته لو كان انساناً محضاً

(٢) لان تماثيل اقيمت لاجل ذكراه وتقواه ، تتجلى فيها روحه تجلياً ظاهرا مرموقاً في اعتقادهم .

(٣) لانه خلف تركة روحية واسعة ، كلهـــا تحمل الروح

(١) راجع « قصة الادب في العالم » ص ٧٢ وكتاب « الحكماء الثلاث لاحمـــد الشنواي ص ١٧

الانسانية المتسامحة .

(٤) لانه عُذب عن الناس ، وجلس خاشعاً تحت شجرة التين المقدسة ستة سنوات .

(٥) لانه بتعذيب نفسه وقتلها خلص المؤمنين بـه ووهبهم السعادة الابدية .

(٦) لان روحه دائماً تتصل بالكهنة من اتباعه وتمدهم بالعجائب والتجاوز عن خطايا الناس .

(٧) لانه احيا امواتا وشفى مرضى ، وولد من عـــذراء وجربه الشيطان فاندحر .

هذه جملة الاسباب التي نقلناها عن البوذيين ، وقد وجدنا لدى مطالعاتنا ، لكل معبود جملة اسباب ، قد تجتمع في هذه الاسباب ، وقد تختلف ، ولكن تنتظمها كلها روح واحدة هي المبالغة والمغالاة وتأليه المخلوقات .

على انك تجد لدى الذين يعبدون من دون الله آلهـــة ثروة ضخمة جداً ، من فلسفات واساطير ، ولكنهـا تظل مقصورة على اصحابها ، فلا يصدقها غيرهم ، بـل تظل من الغير ، محل السخرية والاستخفاف والتهجم .

الوضع القصصي لدرء الالحاد

قد يوجد بين العابدين غير الله ، رجال ينطلقون في حريه الفكر والتأمل والمقارنة ، حتى يدركوا بطلان معبوداتهم فيكفرون بها ، ويعلنون كفرهم ، وان كان المنافقون منهم

يسايرون الغوغاء والدهماء ، في ظاهر سخافاتهم ، ايثاراً لتثبيت مراكزهم ورياساتهم ، واقتناص المنافع .

وحينئذ يتسرب الالحاد من اولئك المفكرين الصرحاء وينتشر ، حتى تضيق به الكهنة ذرعاً ، فلا يجدون طريقاً للمقاومة ، الا وضع الاساطير والاقاصيص .

خذ مثلاً ان كهنة البراهمة ، حين شاهدوا الاستخفاف بالآلهة الثلاث « برهمة وسيفا وفشنو » مستطيراً في الاوساط من جراء استحالة التوجه الى آلهة ثلاث في العبادة الواحدة سارعوا في وضع قصة الآلهة الثلاثة المتحدة ، وخلاصتها :—

ان عابداً برهمياً دخل الهيكل ، وتوجه بضراعته وذله وفقره ، الى تمثال الآلهة الثلاثة ، ذي الرؤوس الثلاثة والاصابع الثلاثة الرامزة باجتماعها الى الوحدانية وخاطبها قائلاً :

ايتها الآلهة الثلاثة المقدسة ، انني اخشى ان اتقدم بعبادتي الى احد منكم ، فيغضب علي الآخران فماذا افعل ؟ فسمع دوياً هائلاً يصم آذان المعبد ويقول :

لاتحزن ايها الناسك ، فاي واحد عبدته منا ، فقد عبدت الثلاثة (١) اذ لسنا ثلاثة في الحقيقة لكنا واحد . »

(١) كان قدماء الهنود يدينون في الاصل بالله واحد ، مخالف لمخلوقاته ، فلما دخلت عليهم وثنية عبادة الروح وحلولها ، اعتقدوا ان إلها واحداً لا يكفي لادارة هذه العوالم فاضطروا ان يقولوا بالهين ، ولكن تبين لهم ان الالهين يراقبان جهتين من العالم فقط ، ويبقى الجهتان الاخريان معطلتين فاهتدوا بالقواعد الهندسية الى القول بان ثلاثة آلهة تكفي للاشراف على كل جهات العالم ، اذا اسند كل ظهيره للآخر ، فقالوا بالثالوث !

وهكذا قضت هذه القصة على موجة الالحاد ، التي كادت تزعزع عقائد الدهماء ، وثابوا الى الاعتقاد بانهم حين يعبدون « برهمة وسيفا وفشنو » انما يعبدون روحاً ازلية واحدة ، هي الله الخالق .

وحين رأى الكهنة استمرار المفكرين في الحادهم مصرين على طلب الدليل ، لجأوا الى غمزهم او حرمانهم ، ووصفوهم بالعجز حيال ما يسمونه الاسرار المستحيلة الفهم ، التي لا تدخل في طاقة العلم الانساني ، زاعمين انها فوق التصور والعلم والادراك ، قائلين يجب على الانسان ان يؤمن اولا والا حرم من السعادة الابدية .

توجيه وتطبيب

يمكننا ان نفهم كيف كان يدخل اعتقاد تأليه الاشخاص على بعض المشاهدين للخوارق ، من القصة الهندية التي يقال فيها :

ان (بوذا) حين دخل على بعض المرضى الذين فارقوا الحياة فاعادها الله على يديه لهم ، رفض بعض المشاهدين ان يصدق ان (بوذا) غير الله . قائلين : لو انه غير الله لما استطاع ان يحيي الموتى ، ورفضوا ان يقبلوا حتى قول (بوذا) نفسه ، اذ افهمهم انه عبد لله مخلوق مثلهم ، وان الذي فعل ذلك هو الله ، فلم يقبلوا منه ذلك !! حتى يقال : انه طردهم وفارقهم ، ولكنهم ظلوا على فكرة تأليهه ، بل هم اليوم الاكثرية الساحقة من البوذيين ، والذين يرون وحدانية الله اصلاً وتأليه بوذا طارءاً هم قليلون (١)

(١) راجع دائرة معارف البستاني بوذا .

ومن هذه القصة المنسوبة الى قدماء البوذيين ، نفهم السبب الذي جعل بعض الناس يعتقدون الوهية (ايليا) وبعض حواريي سيدنا المسيح ، لا لشيء الا لان الله اجرى على ايديهم امثال تلك الخوارق . (١) ولكن الحواريين رفضوا ان يقبلوا من اولئك المغالين تأليههم ، وافهموهم ان صانع العجائب هو الله وحده ، تالين عليهم هذا النص « مبارك الرب إله اسرائيل الصانع العجائب وحده » (٢)

اذن ، فسبب تأليه الاشخاص ينحصر في مشاهدة الخوارق المجهول مصدرها انها من الله .

ومن الخوارق التي كانت تؤدي إلى تأليه البشر قديما ، الولادة الخارقة ، لان الناس يجهلون مع تقادم الزمن ، ان الله حين يجري هذه الخارقة انما يجريها اظهاراً لقدرته ولحكمة يريدها للشخص الوليد ، واكثر ما نجد هذه الولادة الخارقة مستطيرة اخبارها على السنة القصاص في بيئة الهند القديمة . فقد قص هؤلاء ان ولادة « مترا وكرشنة وفشنو وكريستا ... » كانت خارقة للعادة جدا ، حتى ذكروا ان العذراء (نانا) المقدسة لديهم ، استيقظ والدها من نومه — وهو في مكان محكم — فوجدها بجانبه وكأنها هو في هيئته وصورته .

والسبب في تأليه ذوي الولادة العجيبة ، هو ما كانوا يعتقدون ان الله روح يحل في الذين تحصل لهم تلك الولادة ،

---

(١) راجع مل ١٧ — ٢١ واع ٣ — ١٢ و ٩ — ٣٦ و ٢٠ — ٩

(٢) مز ٧٢ — ١٨

تنبيها الى تأليههم .

والواقع ان الله قص علينا ، ان الولادة العجيبة ، لا تقتضي التأليه ابداً ، وقد ذكر سبحانه ان ولادة يحيي ابن زكريا « عليهما الصلاة والسلام » كانت خارقة ، لانه ولد من ام يستحيل ان يلد امثالها بل كانت عاقراً وولدت بعد ان اشرفت على المئة من العمر .

والى هذين الامرين — العقر والشيخوخة — الذين يستحيل ان يكون معهما ولادة ما ، اشارت امرأة ابراهيم حين بشرت باسحاق فقالت مندهشة مأخوذة « أألد وانا عجوز ؟ »

على ان الولادة قد تكون من عالم الامر الالهي ، من غير واسطة مطلقاً ، كآدم وملكي صاداق (١) ولكنها لا توجب تأليه صاحبها .

وقد تدخل الاساطير والتأويلات والمبالغات ، في ذكر الولادة العجيبة . حتى تسمع امثال هذه الاقاصيص لدى جماعات تدين بها ، وتعد بالملايين :

ولنأخذ مثلاً اليابان الذين يعتقدون ان اسرتهم المالكة ، انما تسلسلت من الشمس مباشرة ، وبشكونس اسبانيا الذين يعتقدون ان جدهم الاول ، لم يولد من طريق آدم ، واليزيدية الذين يرون جميع البشر مخلوقين من دويدات ، لكن اليزيدية وحدهم ، خلقوا من مادة كريمة ثمينة .

---

(٢) سيأتي بحث ملكي صاداق في فصل (المحكم والمتشابه)

الاجماع العلمي والاعتقادي

الاجماع العلمي ، هو اجماع جماعة كبرى على امر ، يشاهدونه عيانا ، يستحيل عقلاً ان يتواطئوا ويتفقوا على الكذب . حتى ان كل شعوب الانسانية ، تصدق به وتطمئن له ، كإجماع جماهير البشر الذين يقصدون عرفات في كل عام ويقولون بوجوده . فإن كل جماهير علماء البشر وعامتهم تصدق بوجود عرفات وتطمئن لذلك .

وقل مثل ذلك في اجماع الجيل الاول ، الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتلقوا عنه القرآن المجيد آية آية ، وسورة سورة ، وكلمة كلمة ، وحرفاً حرفاً ، كما هو الآن تلقوه بالملقين والاستظهار ، فضلاً عن كتابته في المصاحف . فتصديق علماء الارض قاطبة ، على اختلاف اجناسهم وأديانهم ، ان القرآن الموجود اليوم بكل سوره وحروفه وكلماته وحركاته ، هو وفق ما تلقاه الجيل الاول ثم الاجيال بعده ، عن خاتم الانبياء سيدنا محمد ، هو الاجماع العلمي .

اذن ، فالاجماع العلمي ، مصدره من اول الامر الجماعة التي يستحيل تواطؤها على الكذب .

واما الاجماع الاعتقادي ، فهو مبني على رواية الآحاد كالجماعات التي ألهت « بوذا » مستندين على رواية الآحاد

التي تذكر ان امه ذكرت لجماعة من تلاميذه ، انها سمعته يقول حين ولادته : « انا سيد هذا العالم » (١) وانه اكد هذا لخالته ، وهي تحمله يوماً لتزيره المعبد البرهمي الحافل بالآلهة ، فقال « لايوجد إله اعظم مني لاني انا إله الجميع »(٢)

هذا هو الاجماع الاعتقادي الذي يتكيء عليه مؤلهو غير الله قائلين : هل كل الملايين المجمعين ، اجماعهم غير صحيح ؟؟ نعم ان جماعهم غـــير صحيح والدليل على ذلك ، هو ان براهمة الهند مثلاً ، مجمعون على تكذيب الوهية بوذا ، والبوذيين مجمعون على ان ثالوث البراهمة ليس صحيحاً .

إذن ، فالاجماع الاعتقادي ، مبني على الوراثة التربوية التخيلية الظنية التقليدية الخاصة ، وكما انه لا يبني واقع المعرفة لا يهدمها .

اجل لا يهدمها ، فهذه ملايين الملايين من اليهود مثلاً ، منذ عشرين قرنا . مجمعون على ان المسيح لم يأت ، فهل اجماعهم هذا هدم واقع المعرفة ، المثبتة ان المسيح جاء فعلاً

والخلاصة ، إن اجماع كل الامم على امر ، دليل على صدق هذا الامر ، وانه عين واقع المعرفة كإجماعهم على ان الخالق العظيم ، هو الذي اوجد المخلوقات من العدم . وإجماع فئة من الفئآت على ان هذا المخلوق ، كالروح التي يرونها حالة في الشمس او الماء او الروح التي يرونها حالة في بوذا او برهمة او لاوتسو او سواهم هي الخالق العظيم ، دليل على

---

(١) و (٢) كتاب « الحكماء الثلاث » ص ٦٥ و ٦٦

انه اجماع اعتقادي ، لا يتصل بواقع المعرفة في قليل او كثير ، لأن الاجماع الاعتقادي الذي لا يثبته العلم القطعي اليقيني ، يظل لا شيء في نظر العلم .

ومن النكت المضحكة ، أن زائراً لمدينة (لهاسا) ، ادهشته اديرتها ونواقيسها واجساد (اللامات) المحنطة ، وتماثيل بوذا المنصوبة في المعابد الكبرى فقال : كيف « تؤلهون بوذا ، وهو انسان مثلنا » ؟ فأجابه « الدالاي لاما » « إن إجماع خمسماية مليون من البشر يمر عليهم خمسة وعشرون قرنا وهم يصدقون ذلك ، محال ان يكون غير عين واقع المعرفة »

ولم يفطن الدالاي لاما ، الى ان الاجماع الذي يتحدث عنه ، هو من الاجماع الاعتقادي ، الذي يماثله تماما ، اجماع البراهمة على تأليه برهمة وسيفا وفشنو ، الذي يسبق اجماعهم — اي البوذيين — بخمسة عشر قرناً ، ولم يصدق رئيس اللامات نفسه اجماع البراهمة هذا ، بل ويراه اسطورة .

وعلى كل حال فلا ينبغي أن يجعل رجال الدين الاجماعات الاعتقادية سببا في تفرقة الامم ، وسببا في قتل واقع المعرفة ، فان فعلوا خسروا عطف امهم عليهم .

المحكم والمتشابه

في الاديان القديمة والآثار

ان النصوص المحكمة ، هي النصوص التي تدل على معانيها بالذات ، دون ان تدل على معان اخرى بعيدة ، غير مقصودة ، وذلك كقوله تعالى « ليس كمثله شيء » .

اما النصوص المتشابهة ، فهي التي تشتمل على معان مقصودة واخرى غير مقصودة ، وذلك كقوله تعالى « يد الله فوق ايديهم » .

والمحكم والمتشابه هذا ، ليس من خصائص اللغة العربية وحدها ، بل نجده في كل اللغات ، وليس من خصائص نصوص الدين الاسلامي وحده ، بل نجده في نصوص كل الاديان .

والسبب الذي اوجد المحكم والمتشابه ، هو اطلاق الالفاظ اللغوية التي استعملت في صفات البشر المحدودة على صفات الله غير المحددة ، كالعلم ، فإذا اطلق على الانسان ، انصرف الى العلم المحدود ، المقيد بالبداية والنهاية ، اما اذا اطلق على علم الله ، فانه لا يقصد منه ذلك المعنى المحدود قطعا ، بل العلم الازلي الشامل لكل شيء الذي ليس له بداية ولا نهاية ، اي العلم اللائق بجلال الله عز وجل .

والذي يفضي الى المتشابهات غالباً ، اطلاق الالفاظ المستعملة ، في حقل المخلوقات على الله . اذ معلوم ان الالفاظ

المستعملة في حقل المخلوقات ، هي محدودة ، وما يتصل بصفات الله ، هي غير محدود . ومن هنا جاءت المتشابهات مثل « الرحمن على العرش استوى » « وجاء ربك والملك صفا صفا » « يد الله فوق ايديهم » « اينما تولوا فثم وجه الله » فلو اخذنا هذه الالفاظ المحدودة ، اخذاً حرفياً ، واطلقناها على الخالق العظيم بحدودها الضيقة ، لوقعنا في وثنية عبادة الروح وقلنا : إن الله روح يتصف بكل صفات الروح .

والواقع اننا نجد في نصوص كل دين على الاطلاق ، نصوصاً محكمة متوارثة عن رسل الله الاقدمين ، الذين زاروا امم هذا العالم ، في قرون متطاولة سحيقة « وإن من امة الا خلا فيها نذير » حتى بعد اختلاط الامر عليهم وسقوطهم في وثنية عبادة الروح ، وتأليه من تصادفه الظروف فيؤله ، لايفقدون تلك النصوص المحكمة ، فتجدها محفوظة بين ركام النصوص المتشابهة ، التي هي من خصائص الروح المؤلهـــة .

خذ مثلاً ، النصوص المحفوظة لدى البراهمة « الشوكرميين » الذين يصفون بها « شوكرما » فيقولون « هو الخالق الازلي الموجود بلا موجد ، لانه لا اول له ولا آخر » والنصوص المحفوظة لدى البراهمة « البراجاباتيين » التي يصفون بهـــا « براجاباتي » فيقولون عنه : « هو رب الموجودات المخصوص بالتنزيه عن مشابهة مخلوقاته » .

ومن النصوص المحكمة المحفوظة لديهم ايضاً « خالق الوجود

المتصرف في الابدان بأجمعها ، هو الذي لا يصاحب احداً ولايقارن احداً ، وليس له ولد ، ولا يهرم ولا يموت ولا يخاف ولا يزول ، ولا اول له ولا آخر ولا يصعد ولا ينزل » (١) أي هو المنزه عن كل صفات الروح .

ومع ذلك نجد بجانب هذه النصوص المحكمة لديهم ، نصوصاً متشابهة لا تكاد تحصر ، فيها نسبة صفات الروح الى الله ، من قيام وقعود ، وظهور وخفاء ، وحياة وموت ، واكل وشرب وضحك وبكاء ، واسف وندم وفرح وحزن وتذكر ونسيان ، وانطلاق وحصر ، وصراع وشجار وانتصار وهزيمة ... فالذين يأخذون هذه النصوص المتشابهة على ظاهرها يقولون : يجب ان يكون الخالق روحاً ، يحل في ما يختار من خلقه ، حتى يصح أتصافه بهذه الصفات ، ولكن المتعمقين في الدراسة من رجال الدين فيهم ، يدركون ان هذه نصوص متشابهة ، تقتضيها طبيعة التعبير اللغوي ، ولا يحد الخالق العظيم ، بمعانيها المحدودة ، بل تعطي معاني لاتحد ، تناسب جلاله وتنزيهه .

وقد وجدنا لدى دراساتنا في مصر القديمة ، عين ما ذكرنا من محكم ومتشابه ، لدى الهنود . وهذا شأن ماوجدناه من محكم ومتشابه في الآثار (السومرية) ، وهي اقدم آثار العراق .

ولما كانت نصوص المحكم والمتشابه تملأ الاسفار ، عن

(١) لاجل كل هذه النصوص راجع « ثقافة الهند ص ١٠ و ١١ و ١٢

اهل الاديان القديمة ، اكتفينا بالاشارة اليها تخفيفاً على القراء .

سبب سقوط الانسان القديم في عبادة الروح

والخلاصة ، ان الانسان القديم حين انحط الى الوثنية ، اعتقد ان الوجود هو الاصل ، فلما اخذ يفكر في مأتى صانعه ، وقع في الوان من الهراء فتارة زعم انه انبثق من الغمام ، وطوراً من روح الشمس وحينا من البيضة الذهبية .. الى كثير من ركام هذه الاساطير التي لا تدخل في باب المحكم والمتشابه ، ولعل هذا الهراء ، المستطير لدى الوثنيين القدامى ، هو الذي ظنه « فاروق الدملوجي » من عمل رسل الله فقال : « ولم يكن قصدي من هذه الرغبة انتقاد المعتقدات والشرائع والاديان . انما الاطلاع على اقوال الانبياء والحكماء والفلاسفة العظام ، مؤسسي الاديان ، الذين أشغلوا البشرية واوقعوا الاختلاف بين الناس بشرائعهم وبقواعدهم المضـــاربة » (١)

ولما كانت الحقيقة لا بد ان تظهر ، نجده يصرح بعد طول دراسته ، في ما اكتشف من آثار السومريين ، وهي اقـــدم الآثار العالمية ، كما يرى ذلك ، يصرح بان الانسان الغارق في القدم ، كانت عقيدته في وحدانية الله صحيحة ، لا اختلاط فيها ولا بلبلة .

وهكذا تراه يثبت وجود العقيدة الصحيحة ، ويعترف بانها هي الاصل ، وان الاساطير مرض ينتاب الانسانية من

(١) راجع مقدمة كتابه « الالوهية في المعتقدات الوثنية » ج ٢

حين لآخر .

اذن ، كان ينبغي لفاروق الدملوجي ، ان يستنتج ان العقيدة الصحيحة ، هي ما جاء بها الرسل ودعا اليها الحكماء والمصلحون من اتباعهم .

ويكفي القرآن الكريم اعجازا ، اذ صرح بكل ذلك ، من قبل اكتشاف الآثار الدالة على ان عقيدة الوحدانية هي الاصل ، اذ صرح بقوله تعالى : « كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » (١) .

المحكم والمتشابه في الاديان الثلاثة

والآن يمكننا ان نستعرض النصوص المحكمة والمتشابهة في الاديان السماوية الثلاثة ، حسب تسلسلها التاريخي :

١ — اليهود

كان سيدنا موسى شديدا في تحطيم معالم الوثنية والوثنيين حتى انه قتل من بني اسرائيل اثنى عشر الفاً ، حين اعتقدوا ان الله روح حل في العجل الذي اتخذوه إلها ، كما انه قتل منهم اثنى عشر الفا ايضاً ، لانهم خالفوا الامر في تحريم النظر الى التابوت خشية تأليهه . بل تجد ان النصوص اكدت ابادة كل بني اسرائيل ، الذين اعتقدوا ان الله روح حل في في البعول ، فسجدوا لها وقبلوها عابدين ، والابقاء على الذين لم يفعلوا ذلك ، وهم سبعة آلاف نسمة فقط (٢) .

(١) راجع تفسير هذه الآية في تفسير المنار البقرة آية ٢١٣

(٢) راجع سفر الملوك الاول ١٩ — ١٨

ولاجل الابقاء على العقيدة الصحيحة ، تجـــد النصوص المحكمة في العهد القديم كثيرة جدا منها :

١ ــ « انا هو الرب إلهك ، لايكن لك آلهة اخرى امامي »

٢ ــ « انا الرب الهك إله غيور »

٣ ــ « هل يسكن الله حقاً على الارض ؟ هوذا السموات وسماء السموات لاتسعك فكم بالاقل هذا البيت الذي بنيته

وهذه النصوص جاءت لتوجه النصوص المتشابهة الكثيرة ، التي يفهم منها ، ان الله روح يسكن الضباب مثل قول سليمان ــ بنيت لك بيت سكنى ، مكانا لسكناك الى الابد ــ(١) والتي يفهم منها أنه يمشي بين الخيام او يصارع ، ويسر قلبه برائحة اللحم ويندم ويتأسف ...

ولننعم انظارنا جيدا في العهد القديم ، اذ ينفي المثلية عن الخالق في أي شيء من خلقه ، فيقول : « ايها الرب إله اسرائيل ، لا إله مثلك في السماء والارض » (٢) . وماذا في السموات والارض غير عوالم الارواح والاجساد ، وما لها من صفات ، وما يصدر عنها من افعال ، محدودة بحدود الزمان والمكان ونواميسها .

ومن هنا نجد الانبياء في العهد القديم ، يوقظون الفكر والايمان ، الى نفي المثلية في كل ما في السماء والارض فإذا نزل ملاك الرب ــ جبريل عليه السلام ــ وتكلم بالوحي اي

«١» ايام الثاني ٦ ــ ١

(٢) ايام الثاني ٦ ــ ١٤

او تصاعد صوت الوحي من الشجرة ، يفهمون اتباعهم ان الشجرة ليست هي الله ، وكذلك ملاك الوحي ، وهم يتلون عليهم هذا النص المحكم الذي يفهم ان صوت الوحي يظهره الله بواسطة اي مخلوق كان : « ليعلم كل شعوب الارض ان الرب هو الله وليس آخر » (١) واذا سمعت ان الرب ترائى لصموئيل فاعلم ان المقصود قطعاً ، هو ملاكه (٢)

والواقع اننا نجد النصوص في العهد القديم كثيرة محكمة ومتشابهة ، ولكن لم تترك الانبياء والاحبار فهمها فوضى فاذا نسبت النصوص الكلام الى الرب مباشرة مثل (وكلم الرب موسى) ، او نسبت الكلام الى ملاك الوحي مثل (وكلم ملاك الرب موسى) ، افهموهم في الحالتين ، ان المتشابه محمول على المحكم ، وان المقصود من الرب ملاكه .

اجل ، تلقى الاحبار القدامى ، تأويل النصوص المتشابهة على ضوء المحكمة ، فحين سمعوا الذين يقولون بألوهية (ملكي صاداق) لورود هذا النص فيه ، « بلا ام بلا اب بلا نسب » لابداية له ولا نهاية (٣) ارجعوهم الى حظيرة الحقيقة وافهموهم انه من النصوص المتشابهة ، وان معاني الالفاظ البعيدة الدالة على صفات الله ، غير مقصودة لشخص (ملكي صاداق) المحدود ، بل المقصود من كلمة — بلا ام بلا اب بلا نسب —

---

(١) ملوك الاول ٨ — ٦٠ (٢) صم ١ — ٣ — ٢١

(٣) للاطلاع على (ملكي صاداق) في العهدين راجع تك ١٤ — ٧ وعب ٢ — ٣

انه مجهول الابوين ، والمقصود من – لا بداية له ولا نهاية – جزؤه الروحي الذي لا يعلم بدايته ولا نهايته ، الا الذي خلقه . ولهذا التأويل نفسه او قريباً منه ، ذهب اباء الكنيسة المسيحية .

ومن هنا ندرك ان احبار اليهود قديماً وحديثاً ، يعرفون جيداً النصوص المحكمة ، من المتشابهة . فاذا فهم بعض الدهماء من الشعب ، عين المثلية الذاتية والتعدد من هذا النص الذي جاء في خلق آدم : « نضع انسانا على صورتنا ومثالنا » (١) اعنوهم ان المثلية هنا ، مثلية في بعض الصفات مع الفارق العظيم – ولله المثل الاعلى – كالعلم والمسامحة والصفح والمغفرة وان المقصود من اشارة الجمع في كلمتي « صورتنا ومثالنا » هو التعظيم ، كما يقولون في هذا العصر : نحن ملك الحبشة نقرر كذا ، او نحن المندوب السامي نقرر كذا . وقل مثل ذلك في اطلاق آلهة على الارواح ، فانهم يعلمون قطعاً ، انها الارواح بالذات ، لا الوهية الحقيقة الخاصة بالله . حتى انهم حين سمعوا للرأة تقول : « رأيت آلهة يصعدون من الارض » فهموا رأساً انها الارواح .

ولما كان الخير شيئاً محبباً قيل عنه روح الله (٢) . والمقصود ان كل ما ينسب الى الله يعطي تعظيم ذلك المنسوب مثل « بيت الله وروح الله وجار الله » لا انها هي هو تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

---

(١) راجع ١ صم ٢٨ – ١٣ «٢» ١ صم ١٦ – ١٢ و ٤

اما اطلاق اب على الخالق العظيم ، وابناء على المخلوقين فانها اذا اخذت على ظاهرها المحدود المتعارف في لغات البشر افادت الجزئية المثلية - المستحيلة على الخالق العظيم - .

ولكن النصوص المحكمة ، تكشف السبب الذي من اجله كانت تستعمل هذه الكلمات لدى الامم كانت تستغل هذه الكلمات لدى الامم القديمة ، اذ لفظة (اب) تعطي التعهد والتربية والشفقة والاحسان دون انتظار اي مقابل ولفظة (ابن) تشير الى تلقي الرعاية والاحسان من الاب

لذلك كان القدماء ، حين يريدون ان يركزوا في انفس الناس كمال رعايته تعالى ورضوانه واحسانه ، لرئيسهم الديني اطلقوا عليه ابن الله ، وإذ رأوا كمال الامتياز في الرسول العظيم اطلقوا عليه « ابن الله البكر » كما نجده مطلقاً على يعقوب ومثل ذلك تجد هذا النص لدى قدماء البراهمة ، عن (سيدارتا) ابن العذراء « ديفاكي » اذ لديهم - سيدارتا ابن الله العظيم -

ولما كانت هذه الالفاظ المتشابهة ، قد اوقعت الامم القديمة في تأليه الاشخاص ، حرم استعمالها خاتم الاديان السماوية الاسلام تلافيا لحدوث الاضطرابات والاختلافات .

وصفوة القول : ان اكثر مأتى الاختلاف هو الاشتراك اللفظي والمترادفات ، ومرجع الضمائر والمجازات والكنايات واطلاق الالفاظ المحدودة على ما ليس بمحدود ، اذ مفهوم ان اللفظ الارضي المحدود ، حين نقصد به معنىً سماويا غيبياً غير محدود ، يجب ان نتخلى عن معناه الارضي الواقعي

المحدود ، والا وقعنا في ما وقع فيه القدماء .

٢ - المحكم والمتشابه في المسيحية

اننا نجد في النصوص المجموعة في الاناجيل الاربعة ، والرسائل المضافة لها ، كثيرا من النصوص المحكمة ، حول عقيدة الايمان بوحدانية الخالق العظيم المطلقة ، نختصر منها النصوص الآتية :

١ - وهذه هي الحياة الابدية ، ان يعرفوك ، انت الاله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي ارسلته .

٢ - للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد .

٣ - والمجد من الاله الواحد .

٤ - لان الرب اعظم مني .

٥ - الآب نفسه الذي ارسلني يشهد لي .

٦ - اذهبي الى اخوتي وقولي لهم إني سأصعد الى ابي وابيكم وإلهي وإلهكم .

وهكذا تحمل على هذه النصوص المحكمة ، كل النصوص المتشابهة ، ولبيان ذلك ، نجد سيدنا المسيح افهم من اول يوم ، الفريسيين والصدوقيين ، الذين ناهضوه ظناً منهم انه جاء لينقض للناموس ، افهمهم بقوله (ما جئت لانقض الناموس بل لاتمم) (١) ومع كل ذلك نسبوا معجزاته

---

(١) راجع هذه الجمل المنقولة من الاناجيل وامثالها في مت ٥ - ١٧ ويو ١٤ - ٢٨ و ٥ - ٤٤ و ٢ - ١٧ و ١٢ - ٤٩ و ٥ - ٣٧ ومر ١٢ - ٢٨

وعجائبه ، الى رئيس الشياطين « بعلزبول » .

والخلاصة ، ان النصوص المحكمة ، هي التي يجب ان يبني عليها واقع المعرفة ، لانها هي تعطي الصفات الواجبة لله ، كما تنفي صفات النقص التي لاتليق بجلاله وكماله عز وجل ، وعلى اضوائها تفهم مقاصد النصوص المتشابهة .

٣ - المحكم والمتشابه في القرآن

ان القرآن الكريم ، قد ارشدنا من اول يوم ، ان فيه نصوصاً محكمة ، ونصوصاً متشابهة ، لان طبيعة اللغة المحدودة ، تقتضي ذلك ، اذا اردت ان تتكلم بها عن المعاني الغيبية غير المحدودة ، كصفات الله ، وما يليق بجلاله وعوالم الآخرة .

اجل ، أشار الى ذلك بقوله « هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ ، فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله . والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌ من عند ربنا ، وما يذكر الا اولو الالباب » . وهكذا نجد القرآن المجيد نبهنا الى النصوص المتشابهة ، وانها الطريق الوحيد ، الذي يلجأ اليها اولو الزيغ والضلال ، في كل جيل وعصر ، ليوقعوا الناس ، في احابيل الوثنيات والاشراك ، والاعتقاد بالاساطير .

وهذا حق ، فان النص المتشابه ، قد يعتمد عليه الذين يفقدون الضمير العلمي والايمان بفضيلة الحق والصدق ، خذ

مثلاً زعيم المجسمة الضال ، الذي كان يقول للناس : ان الخالق العظيم يشبه الانسان ، في كل ما ذكره لنفسه من صفات ، اي له يد ... (يد الله فوق ايديهم) وله وجه (ويبقى وجه ربك) وله كل الحواس الخمس (وهو السميع البصير) ويجيء ويروح (وجاء ربك) ويجلس على عرشه كما تجلس الملوك على عروشها : (الرحمن على العرش استوى) .

ومقصود المجسمة — وهم افراد قالوا بهذه الضلالات ثم تابوا الى رشدهم ، ولم يبق لهم اثر — من هذا الفهم السقيم ان الله يشبه الانسان في ما ذكره من الآيات المتشابهة .

وقد نزه زعيم المجسمة ، الخالق العظيم عن اللحية واعضاء التناسل (١) والزوجة والولد ، لان الله لم يصف نفسه بذلك وحين ناقشه بعضهم في هذا التشبيه الكافر قال ، ماقلت عن الله الا ما قاله الله عن نفسه .

والذي يدلنا على ان هؤلاء المجسمة أولو زيغ وضلال ولا يطلبون واقع المعرفة ، ولا يكترثون لكشف الحقيقة ، هو اعراضهم عن النصوص المحكمة كل الاعراض ، والامعان في تأويلها عمداً ، كما قالوا في قوله تعالى « يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه » اي ولا يحيطون بذاته علماً فوق ما قال عن نفسه ، وفي قوله « ليس كمثله شيء » اي شيء من اشياء الوجود التي لم يذكرها . وهكذا افضى بهم زيغهم وضلالهم الى جعل النصوص المحكمة متشابهة والمتشابهة محكمة

« ١ » راجع ما كتبه ابن حزم عن المجسمة

ولا ريب ان الذي يحاول ان يتخذ من الآيات المتشابهة طريقاً للافساد ، مع انصرافه عن النصوص المحكمة ، يجد السبيل امامه معبدا ، ما دام لا يؤمن بجلال واقع المعرفة ، ولا يقيم للحق وزنا ولا يخاف الله ، ولا يتبع الله .

على ان اهل العلم والمعرفة ، لم يتركوا مسألة المحكم والمتشابه في القرآن الكريم ، مفتحة الابواب ، لكل واغل دساس ، بل درسوها دراسة دقيقة ، وافردوا لها رسائل خاصة ، وان نظرة واحدة في ما كتبه الشيخ الاكبر سيدي محي الدين بن العربي (١) وشيخ الاسلام احمد بن تيمية الحراني وسواهما من اعلام العلماء ، تكفينا مؤنة الحديث مع امثال هؤلاء المحرفين الضالين .

ومن قلب الحقائق والسير الى الخلف ، وطمس للبصيرة بالظلام ، جعل النصوص المتشابهة هي المرجع الذي يعتمد عليه ، وتأويل النصوص المحكمة على شبهها ومعانيها المحدودة وهذا الامر من الصعوبة بمكان ، اذ يقتضي تكلفاً ظاهراً ، وخروجاً عن الاوضاع ، وقتلا لواقع المعرفة ، وتحلا في الاعتماد على التأويل البغيض المنكر .

والاسلام لم يترك امر المحكم والمتشابه فوضى ، بل احتاط رسول الله ﷺ للامر من اول يوم ، فافهم اصحابه كيف يحملون النصوص المحكمة على المتشابهة ، وكان اذا تليت عليه النصوص المتشابهة قابلها بالنصوص المحكمة ، وحملها عليها

«١» راجع رسالة « رد معاني الآيات المتشابهة الى الايات المحكمة »

خذ مثلاً ما روي :

ان حبرا من احبار اليهود قال (يا محمد ، انا نجد ان الله يجعل السموات على اصبع والمـــاء على اصبع والارضين على اصبع ...) فتبسم النبي ﷺ ، وتلا عليه هذه الآية المحكمة « وما قدروا الله حق قدره ... » (١)

وهنا إشارة لابد من التنبيه اليها ، لان كثيراً من المطالعين ، يجدون امثال هذه الكلمات بكثرة ، تصدر عن المتواجدين في حب الخالق العظيم ، الذين ذهلوا عن كل شيء حتى انفسهم ، فلم يحسوا بوجود شيء سواه امثال : (ما في الجبة الا الله) (سبحاني ما اعظم شاني) (انا في الله والله في وانتم فينا) (من رآني فقد رأى الله) (مافي العوالم الا الله) (انا هو وهو انا) ... وسوى ذلك كثير.

وهذه العبارات وامثالها ، الافضل تجنبها ، لانها تفضي الى اضطراب واختلاف بين الناس ، بل قد تفضي الى تأليه المخلوقات والاعتقاد انها هي هو — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً —

نعم نحن لا ننكر ان لهذه الجمل مقاصدها المحدودة ، الظاهرة ، لذوي العلم والمعرفة ، فاذا نظرنا الى كلمة (مافي الجبة الا الله) ادركنا حالاً ان قائلها ، فني في محبة الله حتى عن شخصه الذي في جبته ، معتقداً ان الوجود الموقت ليس بوجود حقيقي ، والوجود الحقيقي السرمدي الذي لا يعتريه تغيير ولا تبديل وليس له بداية ولانهاية ، هو وجود

« ٦ » الانعام ٩١

الله وحده، إذن موجود الله هو الوجود الحقيقي وما سواه زائل..

اذن فالحقيقة ، ليس في الجبة ولا في الرداء ولا في شيء سواهما ، على اختلاف المخلوقات الا الله . وقل مثل ذلك في جملتي (انا في الله والله فيّ) و (من رآني فقد رأى الله) فالظرفية هنا بالنسبة للشخص تكشف ظرفية المخلوقية لله ، اي انا مخلوق لله وحده . والظرفية بالنسبة لله ، الظرفية الخالقية الكاشفة بمجرد النظر في المخلوق ، انه اثر قدرته سبحانه وتعالى — ومن رأى ما أنا عليه من الاستقامة على طريق الوحي ، فقد رأى إرادة الله في ما انزله وهذا شأن كل الجمل التي تلح فيها طيوف التأليه .

وعلى كل حال ، فالافضل الاخذ في مناهج السلف (١) في التكلم في تفسير الكلمات . لانهم هم اول من شاهد انوار السماء تنسكب صافية خالية من التأويل والتشبيه .

وعلى كل حال ، فاتباع السلف اوثق واحق ، وفيه الضمانة الكافية لنيل رضوان الله ، ولا يزال العالم الاسلامي الى اليوم ، يتيم الذكريات الخالدة ، للعلماء الذين تأدبوا بآداب السلف واخذوا بما كانوا يأخذون به ، من الاستمساك بما جاء به رسول ﷺ ، عن ربه ، خالياً من الزيادة والنقصان

ولو ان اهل كل دين ، رجعوا الى واقع المعرفة ، التي كان عليها سلفهم الاول ، في زمن صاحب الدعوة الاول

---

(١) من اراد التوسعة في فهم مناهج السلف فليرجع الى كتاب [ذكريات طيبة]

بالذات ، لما الفينا بينهم كل هذه الاختلافات المخيفة التي جعلتهم طرائق قددا

والله يشهد ، اننا نحمل المحبة الصادقة لكل اهل الاديان وانا نقدم اليهم هذا الكتاب ، راجين من الله ، ثم اهل العلم والدين والفضيلة قبوله . طالبين من المولى الكريم ان يلهم سوانا ، اخراج مؤلفات من هذا النوع القيم ، النافع الموحد الكاشف واقع المعرفة ، ولاريب ان اجرهم سيكون من الله اعظم الاجور ، ومنزلتهم عند الله اكبر المنازل .

وكم يشرفنا ان نختم مؤلفنا هذا بقوله تعالى ، ليكون ختامه مسكاً « قل ياايها الناس ، اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والارض ، لا إله إلا هو ، يحي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله ، النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون » (١)

«١» الاعراف ١٥٧

الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨	٣	الانسان	الانساني
٤٦	١٩	منطقته	منطقة
٧١	١	ناروتا	فاروتا
٧٢	١٠	العرقة	الفرقة
٨١	١١	والمطقى	والمنطقي
٨٢	٧	حرقيا	حزقيا
٨٢	١٩	مائلة	مائلة
٨٣	٢٢	الرسمون	الرسميون
٨٤	١٧	يحققه	تشدد يحققه
٨٧	٢	والعارة	والقارة
٩٨	١٤	نفعله	تفعله
١٠٢	٢٠	ن	أن
١٠٣	١٥	ن	ان
١٠٨	٩	والأراك	والادراك
١٠٩	١٠	تؤي	تؤدي
١١٢	٧	جمادهم	اجماعهم
١١٧	١٤	المصنارية	المتضاربة
١٢١	٩	أعانوهم	أفهموهم
١٢٥	١٠	نثرة	نزهة
١٢٦	٤	لايتع الله	لايتبع رسل الله
١٢٨	١	موحود	فوجود
١٢٨	١٠	تلح	تلمح

وهناك عدة اغلاط مطبعية لاتخفى على القارىء اللبيب

الفهرس

صفحة	
٣	الاهداء
٤	لا جديد تحت الشمس
٦	المقدمة
٠١	الصنعة غير الصانع
٣١	الاصل عبادة الله وحده
٣٧	خلاصة القول في عقيدة الله روح
٤٠	البيئة الأولى لمرصد عبادة الروح
٤١	الحلول الجزئي
٤٤	التأنس
٤٥	الكلمة
٤٦	اقدم تالوث في العالم
٤٧	التثويون
٤٧	الحلول الكلي
٤٨	محاكمة الأرواح
٤٩	عبادة ارواح الملوك
٥٠	عبادة النوافع والمضار والجمال

صفحة	
٥٣	البيئات التي انتقل اليها مرض عبادة الروح
٥٤	الثنوية
٥٥	اليزيدية
٥٦	عبادة ارواح الملوك
٥٧	الصلب
٦١	التناسخ
٦٦	الرجعة
٦٨	عبادة الشجر
٦٩	عبادة المياه
٧٠	الثالوث
٧٤	نتائج مرض عقيدة ان الله روح
٧٥	مهمة الانبياء
٨٧	المجرب لا يجرب
٩٦	الخوارق ،اثبات للنبوة وطريق للتأليه
١٠٢	تأليه غير البشر
١٠٤	التقوى والذكرى

صفحة	
١٠٥	الشفقة والخوف من الضرر
١٠٥	اسباب التأليه والعبادة في الجملة
١٠٦	الوضع القصصي لدرء الاسحار
١٠٨	توجيه وتطبيب
١١١	الاجماع ان العلمي والاعتقادي
١١٤	المحكم والمتشابه
١١٧	سببه عقيدة الانسان القديم ان الله روح
١١٨	المحكم والمتشابه في الاديان الثلاثة
١١٨	المحكم والمتشابه لدى اليهود
١٢٣	المحكم والمتشابه في المسيحية
١٢٤	المحكم والمتشابه في القرآن

DATE DUE

J. LIB.

19 MAY 1981

J. Lib.

2 NOV 1983

JAFET LIB.

11 NOV 1993

16 SEP 1996.

JAFET LIB.

NOV 1996

Circulation Dept.

291.3:D124LA:c.1
الزعبى ،محمد على
لا جديد تحت الشمس
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01002065

291.3 :D124lA
الدفتردار

291.3
D124lA